الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام في فكر المستشرقين دراسة وتحليل[1]

كريم جهاد الحساني

المقدمة

إن الإمام علي الرضا عليه السلام من أفذاذ العترة الطاهرة، ومن أعلام أئمة أهل البيت عليهم السلام، ومن أبرز عمالقة الفكر والعلم في الإسلام؛ إذ كانت سيرتهُ تُحاكي سيرة أجداده العظام في جميع مكوناتها وذاتياتها، وكان عصره من أدّق العصور في الإسلام، فقد تفجرّت البلاد الإسلامية ببركان من الثورات، لسوء السياسة العباسية آنذاك، والتي أدت بالتالي إلى استشهاده عليه السلام على يد المأمون العباسي.

لذلك فقد حظيت المكتبة الاستشراقية بدراساتٍ قد تكون خجولة عن هذا الإمام العظيم إلاّ أنّها لا تخلو من طرحٍ جديد في تناولِ بحوثٍ بعيدةٍ عن الطرح الكلاسيكي والتي تعتمد على الجمع فقط، إذ يجب أن نخرج بأطروحاتٍ جديدة تحت طاولة الدراسة والتحليل، خاصةً وأنّها جاءت هذه المرّة مستقصيةً نواحي مجده عليه أفضل الصلاة والسلام من غير العرب المسلمين، وبيان مكانة

---

١. المصدر: مجلة الكلية الإسلامية، الجامعة الإسلامية في النجف الأشرف، مجلد ١، العدد ٦٨، شتاء ٢٠٢٢.

الأئمة عليهم السلام في نظر الغربيين، ومدى تأثرهم بالأفكار المحمّدّية.

علمًا أنَّ الخوض في هكذا أطروحات صعبة المنال وخاصة في العراق؛ وذلك لصعوبة الحصول على مصادر اللغة الانجليزية واللغات الأخرى كالفرنسية والألمانية وغيرها في أروقة مكتباتنا إن كانت مترجمة أو غير مترجمة والتي تبحث بالخصوص في مجال التاريخ والفكر الإسلامي، وهذا يدعونا أن نفكر في كيفية الحصول على تلك المصادر في مكتباتنا.

وقد حاولنا فيها تناول الآراء ودراستها وتحليلها عن هذه الشخصية العظيمة تحت مَظلة مفكرو وعلماء الاستشراق، وما أخرجوا لنا من أفكارٍ وآراءٍ قد عُنيَ بعضهم بدراستها دراسةً دقيقةً من كل الجوانب، والآخر قد مرَّ عليها مرور الكرام.

لذلك تمَّ طرح تلك الآراء ودراستها دراسةً تحليليةً بعيدًا عن الحقدِ والعصبيةِ للوصولِ إلى الحقيقةِ التاريخية التي لا بُدَّ للباحث منها، فجاءت الدراسةُ بتمهيدٍ عن الاستشراق وهويته، ومن ثم تضمّنَت إلى مبحثين فخاتمة ثم ثبت بالمصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها في البحث والتقصي.

التمهيد: الاستشراق بين المفهوم العربيّ والغربيّ:

قد يبدو تعريف الاستشراق للوهلة الأولى غَيرَ ذي نفعٍ، فمحاولةُ تحديد المعنى لمفهومٍ شائع، قصدَ أن يُكوّن كل شخصٍ فكرةً عنه، يتمثل في ظهور ذلك المعنى بغاية البساطة للمُتخصص، وكونه في الوقت نفسه مُعقدًا مُتشابكًا بصورة غير مُجدية لغير المُطّلعين؛ لذا أصبحت بعضُ الأبحاث تُعنى بالتعريفات وتجتهدُ في تأطيرها وضبطها؛ نظرًا لوظيفتها المحورية في بناء المناهج، فالتحكُم في التعريفات يعني التحكُم في المعرفة المقصود بلوغها في صُلب البحث؛ لذلك من المُلائم ولا

ريب تحديد المنظور العام الذي انطلقت منه الدراسة التي بين أيدينا، فيجب أن نَعرِف الاستشراق في مفهوميه العربي والغربي على حدٍ سواء.

الإستشراق في الفكر العربي:

فالمتطلّع في المعاجم اللغوية العربية القديمة لا يجد لمفهوم الاستشراق في علم الإشتقاق وقواعد الصرف ذكرًا، وهذا يعني أنَّ الكلمة ليست عربية أصيلة، لكن من الواضح أنَّ التجذير العلمي اللغوي لها يُحيل إلى الفهم الجغرافي لجهة الشرق فهي مُشتقّة من مادة «شَرَقَ»: فالشين والراء والقاف أصلٌ واحد يدلُ على إضاءةً، ومن ذلك شَرَقَت الشمسُ: شَرَقَت الشمسُ تَشْرُق شُروقًا وشَرْقًا، أي: طلعت[١].

فالكلمة إذن – استشراق – من المُشتقات المُعاصرة في اللغة العربية كما أكدّت على ذلك بعض المصادر اللغوية الحديثة التي تقول:

«استشراق أي: طلب علوم الشرق ولغاتهم، يُقالُ لمن يُعنى بذلك من علماء الفرنجة»[٢].

وتباينت آراء المفكرين من العرب حول تعريف مفهوم الاستشراق كلٌّ حسبَ توجُهاته، إذ يذهب البعض إلى الشّمولية، قائلًا بأنهُ: «مفهومٌ عام يُطلق على إتّجاهٍ فكري يُعنى بدراسة الحياة الحضارية للأمم الشرقية بصفة عامة، ودراسة حضارة الإسلام والعرب بصفة خاصة»[٣].

ويذهب البعض الآخر إلى أنها: « دراساتٌ أكاديمية يقوم بها غربيون من أهل

١. ابن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ٣: ٢٦٤ ؛ ابن منظور، لسان العرب، ١٠: ١٧٣، مادة: (شَرَقَ)
٢. رضا، معجم متن اللغة، ٣: ٣١٠، مادة: «شَرَقَ».
٣. وزّان، الإستشراق والمستشرقون، ١٥.

الكتاب فقط دون المسلمين من أهل الغرب؛ لدراسة الإسلام عقيدةً وثقافةً وشريعةً وتاريخًا وتنظيمًا»[١]. وهذا تحديدٌ خلاف الواقع؛ لأنّهُ قد تمَّ حصرهم بأهل الكتاب دون المسلمين من الغرب، والذي لطالما سمعنا بعدد من المستشرقين الغربيين قد دخلوا الإسلام، ومارسوا البحث في الحضارة الشرقية فيكون التعريف غير صحيح، مع أنهم أُدخلوا ضمن الموسوعات العالمية للمستشرقين.

ويرى إدوارد سعيد[٢] في دراسته وتحليله للنشاط الاستشراقي أنَّ الاستشراق عمومًا نوع من النشاط البحثي، والكتابي، فيصفهُ بأنّه: تبادل حيويٍّ بين مؤلفين أفرادًا ومؤسسات سياسية واسعة، شكلّتها الإمبراطوريات الكبيرة الثلاث البريطانية، والفرنسية، ولاحقًا الأميركية، التي أنتجت بالمُجمَل الكتابة الاستشراقية[٣]. وهو يتّجه في ذلك إلى الجانب السياسي الخالص مع أهميته وفاعليته.

وممّا تقدّم يمكن أن نصل إلى نظرة عامة حول تعريف الاستشراق عربيًا، وهو رأيٌّ جامع شامل يُشير إلى أنها دراسات عامة لأحوال الشرقيين شعبًا والشرق منطقةً من جهة لغاته القديمة ولهجاته الحديثة وتاريخه وأساطيره، طباعاته وعاداته وتقاليده، أديانه وكل ما يتصل به من الناس والحيوان والنبات، والمناخ والتربة ومكونات الشخصية وعوامل الفرقة[٤].

---

١. غراب، رؤية اسلامية للإستشراق، ٩. بتصرّف.

٢. إدوارد وديع سعيد، مُنظّر وناقد أدبي فلسطيني – امريكي، ولد سنة ١٩٣٥م، وتوفي سنة ٢٠٠٣م، له مصنفات عدة، منها: تغطية الإسلام، والاستشراق، ومسألة فلسطين، وغيرهما.

٣. سعيد، الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، ٤٩، بتصرف.

٤. فروخ، الاستشراق في نطاق العلم وفي نطاق السياسة، ٤٥.

الإستشراق في الفكر الغربي:

أما إذا أردنا تحديد المفهوم للاستشراق العلمي من الجانب الآخر، فإننا يجب أن نأخذ بنظر الاعتبار رأي علماء الغرب باعتبارهم صُنّاع هذا المفهوم الذي ولِدَ بين أظهرهم.

فقد ذُكر مُصطلح استشراق سنة ١٧٧٩م في قاموس أكسفورد، وهي مُشتقة من كلمة Orient والتي تعني أول مَن تبحّر في لغات الشرق وآدابه[١]. وهذا التعريف أخذ به واعتمدهُ بعض علماء الغرب أمثال آرثر آربري[٢،٣] والبرت ديتريش[٤].[٥]

ولعلَّ كلمة مستشرق قد ظهرت قبل مصطلح استشراق، إذ يرى آربري أنَّ المدلول الأصلي لاصطلاح مستشرق كان في سنة ١٦٣٨م، وفي سنة ١٦٩١م وصِفَ آنتوني وود[٦] الباحث صموئيل كلارك[٧] بأنّهُ «إستشراقي نابه»[٨].

---

1. Weiner, *The Compact Edition of The Oxford English Dictionary*.

٢. آرثر جون آربري، (Arthur Arberry) ولد في انكلترا سنة ١٩٠٥م، توفي سنة ١٩٦٩م، من أهم آثاره: ترجمة مسرحية مجنون ليلى للشاعر أحمد شوقي، والمستشرقون البريطانيون، وقراءة في اللغة الفارسية الحديثة، والأدب الفارسي الكلاسيكي. بدوي، موسوعة المستشرقين، ٥.

٣. آربري، المستشرقون البريطانيون، ٨.

٤. ألبرت ديتريش (Albert Dietrich) أستاذ الدراسات العربية في جامعة غوتنغن، ألمانيا.

٥. يرى ديتريش أنّ المستشرق هو: «ذلك الباحث الذي يحاول دراسة الشرق وتفهّمه ولن يتأتى له الوصول إلى نتائج سليمة في هذا المضمار ما لم يتقن لغات الشرق». ديتريش، الدراسات العربية في المانيا تطورها التاريخي ووضعها الحالي، ٧.

٦. أنتوني وود(Anthony Wood) ولد في انكلترا سنة ١٦٣٢م، كان مهتمًا بنسخ الكتابات الاثرية والبحث عن الاثار والمخطوطات، توفي سنة ١٦٩٥.

٧. ولد كلارك (Samuel Clarke) سنة ١٦٦٥م في انكلترا، كان اهتمامه الاساسي منصبًا على الثيولوجيا المنطقية، ومع انه كان منتقدًا للربوبيين الا انه كان متعاطفًا مع بعض افكارهم، توفي سنة ١٧٢٩م.

٨. آربري، المستشرقون البريطانيون، ٨.

المبحث الأول: هوية الإمام علي الرضا عليه السلام في المنظومة الاستشراقية

وفيه عدة مطالب، منها:

١. الإسم والنسب الوضّاح.

٢. الأُم. الولادة. الكنية واللقب. علمه وتقواه.

٣. رؤية المستشرقين في إمامته

ربما يقول البعض إنَّ المعلومات المتوفرة عن حياة الإمام علي بن موسى الرضا وسيرته الشخصية عند مؤرخي المستشرقين قليلة جدًا لا تتناسب مع ما قامَ به من الأدوار العلمية والدينية والاجتماعية، إلاَّ أننا ومن خلال مراجعة بسيطة لما كتبهُ المؤرخون المسلمون عن هذه الشخصية العظيمة وتجاهلهم عن سيرته مقارنةً بما أسهبوا في كتاباتهم شخصياتٍ إسلامية لم يكن لها ذلك الدور الفعّال في التاريخ الإسلامي، عند ذاك ترتفع الغرابة في تجاهل المؤرخين من المستشرقين الحديث عن حياته عليه السلام، لذلك عزت المستشرقة الايطالية لورا فاليري[١] أسباب ذلك التجاهل عند مؤرخي المسلمين عن هذه الشخصيات إلى أوامر السلطتين الأموية والعباسية الكف عن ذكر وتدوين مناقب أئمة أهل البيت عليهم السلام العَقَدّية والتاريخية، ويُغيّبوا سيرتهم عليهم السلام، ومكانتهم العلمية، قائلةً:

«إنَّ هؤلاء الرواة والمؤرخين كانوا يخافون السلطات الأموية والعباسية ويخشونها خوفًا على مصالحهم المادية، ولهذا السبب غيّبوا مناقب الأئمة الأطهار، وبالغوا كثيرًا إلى درجة متطرّفة بعدم ذكر أسماء الأئمة»[٢].

إلاَّ أنَّ هذا التجاهل لم يقف من إسهام بعض المستشرقين الملحوظ في الكتابة

---

١. لورا فيشيا فاليري، Laura Vaglieri ولدت سنة ١٨٩٣م، لها عدة مؤلفات منها: الإسلام، ومطالعات عربية، والمسلمون في سردينا، ولها عددٌ من البحوث والدراسات. ينظر: حمدان، طبقات المستشرقين، ١٦٧.

2. Vaglieri, "Fatima," 841- 850.

عن الأئمة خصوصًا إمامنا علي الرضا عليه السلام. صحيح أنّها لا يمكن موازنتها عددًا بالدراسات الإسلامية الأخرى، ولكنها دراسات قيّمة أيضًا، فمثلًا المستشرق الانكليزي دونالدسون[١] قدّم فصلًا كاملًا عن الإمام علي الرضا عليه السلام، نشره في كتابه عقيدة الشيعة، درسَ فيه حياة الإمام عليه السلام وأحواله وكل ما يتعلق به.

ومن خلال ما سنعرضهُ من سيرة الإمام الشخصية سيتّضح للقارىء الكريم ما أفرزته المنظومة الاستشراقية من الدراسة عن حياته.

الاسم والنسب الوضّاح:

اتفقَ المستشرقون على تسميته وتسمية أبيه عليهما أفضل الصلاة والسلام، وذِكرِ نَسبهِ الشريف، ذلك النسب الرفيع المتصل برسول الله صلى الله عليه وآله عن طريق والده الإمام موسى الكاظم عليه السلام، الذي هو من صميم الأُسرة العربية العلوية الهاشمية، ومن الذين صرّحوا بهذا النسب:

- دونالدسون في كتابه: عقيدة الشيعة[٢]،
- وبرنارد لويس[٣] في بحثه الموسوم: علي الرضا[٤]،
- وريشار[٥] في كتابه: الإسلام الشيعي[٦]،

---

١. دوايت دونالدسون، سنة ١٨٨٤م، اختير من قبل الكنيسة كمبشر إلى ايران حتى سنة ١٩٤٠م وخلال وجوده في ايران اتجه إلى العراق لدراسة أوضاع الشيعة، ينظر: مراد، معجم أسماء المستشرقين، ٣٤٢.

٢. دونالدسون، عقيدة الشيعة، ١٧١.

٣. برنارد لويس (Bernard Lewis) يهودي وكان أحد مستشاري الرئيس الامريكي جورج بوش، توفي سنة ٢٠١٨م، من آثاره: أصول الاسماعيلية، العرب في التاريخ، ظهور تركيا الحديثة، وغيرها.

٤. أ. جي، موجز دائرة المعارف الإسلامية، ٢٤: ٧٤٢٥.

٥. يان ريشار (Richar) استاذ الدراسات الايرانية في جامعة السوربون، صدر له: المثقف والمناضل في الإسلام المعاصر.

٦. ريشار، الإسلام الشيعي (عقائد وايديولوجيات)، ٦٥.

ـ والمستشرق الإنكليزي وليم موير[١] في كتابه: الخلافة، الذي عرّجَ على نسبه الشريف وأكدَّ على أنّه حفيد علي بن أبي طالب، قائلًا: «... المختار من نسل النبي، وهو سليل علي»[٢] والبعض إكتفى برسمِ خريطة النسب المحمّدي للأئمة من صُلب إبنته فاطمة الزهراء وابن عمّه علي بن أبي طالب عليه السلام والمتضمّنة للإمام الثامن علي بن موسى الرضا عليه السلام كما رسمَ ذلك المستشرق الألماني هاينس هالم[٣] في غنوصيته[٤].

الأُم:

أما أُمّهُ فكانت من أفضل النساء في عقلها ودينها، وقد ذهب مؤرخوا المسلمين إلى تحديد هويتها المناطقية إلى أقوالٍ:

الأول: أنَّ والدة الإمام موسى الكاظم عليه السلام والمُسمّاة حميدة المصفاة اشترتها، وكانت جارية مولِده[٥] من أشراف العجم[٦].

الثاني: أنَّ الإمام موسى الكاظم عليه السلام إشتراها من رجلٍ نخاس من المغرب،

---

١. وليم موير (William Muir) سنة ١٨١٩م، من آثاره: حياة محمّد وتاريخ الإسلام، وحوليات الخلافة، والمماليك أو دولة العبيد في مصر، وغيرها. ينظر: حمدان، طبقات المستشرقين، ٢٠٣.

2. Muir, The Caliphate its rise, decline, and fall, 495.

٣. هاينس (Heinz Halm) عام ١٩٤٢م، من أعماله: الإسلام الشيعي من الدين إلى الثورة، والفاطميون وتقاليدهم في التعليم، والإسلام ماضٍ وحاضر. ينظر: هالم، الغنوصية في الإسلام، المقدمة.

٤. هالم، الغنوصية في الإسلام، ٦٢.

٥. المولدة: التي ولدت ببلاد الإسلام، ونشأت مع أولادهم وتأدبت بآدابهم. والتليدة: التي ولدت ببلاد العجم، وحملت فنشأت ببلاد العرب. ينظر: ابن الاثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ١: ١٩٤، مادة: «تلد».

٦. الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ١: ٢٤.

وقد أخبره بأنه اشتراها من أقصى المغرب[١].

الثالث: أنّها كانت من أهل النوبة[٢]؛ لأنها كانت تُدعى بـ« شقراء النوبية»[٣]، وهو الرأي الذي ذهب إليه عدد من الموسوعات الإستشراقية[٤]، وصرّح به الانكليزي برنارد، بقوله: «وأما أُمه فأم ولد نوبية»[٥]، وكذا الفرنسي ريشار الذي أكدَّ على اختلاط دم الأئمة عليهم السلام بالنسيج العرقي والإجتماعي الكبير، بقوله: «وكان الإمام الرضا، إبنًا لأمة نوبية، ممّا يوضّح، كأئمة آخرين،... والدم العربي الخالص للنبي، ويشير إلى اختلاط عرقي واجتماعي كبير»[٦].

والظاهر أنها جيء بها إلى مناطق النوبة من أقصى المغرب[٧]من جزيرة مارسي

---

١. الطبري، دلائل الإمامة، ٣٤٨.

٢. وهي بلاد واسعة تُطلق على المنطقة التي تمتد من أسوان في مصر من شمالًا حتى مدينة الدّبة في السودان جنوبًا، ولا تزال هناك منطقة تُعرف بصحراء النوبة جنوب مصر وشمال السودان في الوقت الحاضر. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ٥: ٣٠٩.

٣. ينظر: البغدادي، تاريخ مواليد الأئمة عليهم السلام ووفياتهم، ٣٧ ؛ الشافعي، مطالب السؤول في مناقب آل الرسول، ٤٥٥؛ مجلسي، بحار الأنوار، ٤٩: ٣.

4. Meri, *Medieval Islamic Civilization an Encyclopedia*, 1: 45.

5. Lewis, "Ali Al-Rida," 399.

٦. ريشار، الإسلام الشيعي (عقائد وايديولوجيات)، ٦٥.

٧. كما وردَ في الرواية المرفوعة إلى الإمام الكاظم« عن هشام بن أحمد، قال: قال لي أبو الحسن موسى»: «قَدْ قَدِمَ رَجُلٌ مِنَ الْمَغْرِبِ نَخَّاسٌ، فَامْضِ بِنَا إِلَيْهِ. فَمَضَيْنَا، فَعَرَضَ عَلَيْنَا رَقِيقًا، فَلَمْ يُعْجِبْهُ، قَالَ لِي: سَلْهُ عَمَّا بَقِيَ عِنْدَهُ، فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ: لَمْ تَبْقَ إِلَّا جَارِيَةٌ عَلِيلَةٌ. فَتَرَكْنَاهُ وَانْصَرَفْنَا، فَقَالَ لِي: عُدْ إِلَيْهِ وَابْتَعْ تِلْكَ الْجَارِيَةَ مِنْهُ بِمَا يَقُولُ لَكَ فَإِنَّهُ يَقُولُ لَكَ كَذَا وَكَذَا».فَأَتَيْتُ النَّخَّاسَ فَكَانَ كَمَا قَالَ، وَبَاعَنِي الْجَارِيَةَ، ثُمَّ قَالَ لِي: بِالله، هِيَ لَكَ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: لِمَنْ هِيَ؟ قُلْتُ: لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ. قَالَ: أُخْبِرُكَ أَنِّي اشْتَرَيْتُ هَذِهِ الْجَارِيَةَ مِنْ أَقْصَى الْمَغْرِبينظر: الطبري، دلائل الإمامة، ٣٤٨ ؛ المفيد، الإرشاد، ٢: ٢٥٤.

الواقعة جنوب فرنسا؛ لأنها كانت تسمى بـ « الخيزران المريسية»[١].

إلاَّ أنّ المستشرق دونالدسون[٢] يُخالف هذه الأقوال، ويذهب إلى أنها كانت جارية فارسية، مُعتمدًا على ما ذكره المجلسي في بحاره، إلاَّ أنّ الأخير ذكر أنها كانت من أشراف العجم[٣]، واللبيبُ يَعرفُ الفرق بين الإثنين.

أما الاسم المبارك لهذه المرأة الجليلة فقد وردَ في المنظومة الاستشراقية بأسماءٍ عِدّة طبقًا لما اختلف فيه المؤرخين، فعلى المشهور « تُكتَم»[٤]، وهناك أسماءٌ أُخرى ذكرها برنارد لويس في مقالته[٥]، بقوله: يختلف الناس في اسمها فهو «شهد»[٦] أو «نجية»[٧] عند النوبختي[٨]، وهي «سكينة» عند ابن خلكان[٩]، وهي «خيزران» عند ابن الجوزي[١٠].

وكانت هذه السيّدة الجليلة من العابدات، فقد أقبلت على طاعة الله إقبالًا شديدًا، وكان من مظاهر عبادتها كما يوردُ ذلك دونالدسون عن بعض المصادر[١١]،

---

١. الاربلي، كشف الغمة في معرفة الأئمة، ٣: ٥٣

٢. دونالدسون، عقيدة الشيعة، ١٧١.

٣. المجلسي، بحار الانوار، ٤٩: ٥.

٤. دونالدسون، عقيدة الشيعة، ١٧١.

5. Lewis, *The Encyclopaedia of Islam*, 1: 399.

٦. كذا في أصل نسخ مخطوط كتاب النوبختي، ولكن الاسم هذا لم يُعرف لها وانما أساميها المروية هي: الخيزران والمرسية وسكينة وسكنة ونجمة وشقراء وأروى وسكن وسماك وتكتم.
النوبختي، فرق الشيعة، ١٣٩.

٧. كذا ورد الاسم في أصل مخطوط النوبختي، ولعل الصحيح «نجمة»، اذ لم يُعرف هذا الاسم.

٨. النوبختي، فرق الشيعة، ١٣٩.

٩. لم يورد ابن خلكان ذكر لأسماء بنات الإمام الرضا. ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ٣: ٢٦٩-٢٧١.

١٠. ابن الجوزي، تذكرة خواص الأمة بذكر خصائص الأئمة، ٣١٥.

١١. الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ١: ٢٤؛ مجلسي، بحار الأنوار، ٤٩: ٥.

أنَّ عليًا الرضا عليه السلام كان كثير الرضاع في طفولته حتى قالت يومًا: أعينوني بمرضعة. فقيل لها: أنقصَ الدرّ؟ قالت: ما أكذب، ما نقص الدرّ، ولكن عليَّ وِردٌ من صلاتي وتسبيحي وقد نقص منذ ولِدتُ[١].

الولادة:

وقع الاختلاف عند المستشرقين في ولادة الإمام عليه السلام زمانيًا، واتفقوا على ولادته مكانيًا، فتضاربت الأقوال في الزمان الذي كانت فيه ولادته، فعلى المشهور أنَّ ولادته كانت سنة ١٤٨ للهجرة – ٧٦٥ للميلاد، وهو الإتفاق التاريخي لمؤرخي الشيعة[٢] الذي أشار إليه الانكليزي دونالدسون، وعَزى سبب هذا الاختلاف في تاريخ ولادته؛ هو إهمال والده الإمام موسى الكاظم عليه السلام من تسجيل ولادات أُسرته[٣]، وهو رأيٌ بعيد عن الصواب؛ لأنَّ تدوين ولادات الأئمة ووفياتهم هو من شأن أتباعهم الذي جاء متأخّرًا في التاريخ الإسلامي، فالتواريخ كلها كانت من المسموعات في تلك الأزمنة ولم تكن تُدون أولًا بأول، إلاّ نادرًا ومن الطبيعي أنَّ هذه المسموعات تتعرض للنسيان مع مرور الأزمنة.

وذكر المستشرق لويس وغيره[٤] أقوال النوبختي[٥]، وابن خلكان[٦] الذين يذهبون للقول بأن مولده كان سنة ١٥٣هـ – ٧٧٠م، إلّا أنّه يُصحح قول من أثبتهُ سنة ١٥١هـ – ٧٦٨م[٧].

---

١. دونالدسون، عقيدة الشيعة، ١٧١-١٧٢.

٢. المفيد، الارشاد، ٢: ٢٤٨ ؛ الكليني، الاصول من الكافي، ١: ٤٨٦.

٣. دونالدسون، عقيدة الشيعة، ١٧٢.

4. Lewis, *The New Encyclopadia Britannic*, 1: 268.

٥. النوبختي، فرق الشيعة، ١٣٩. وفيه ذكر سنة ولادته: ١٥١هـ، وآخر: ١٥٣هـ.

٦. ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ٣: ٢٧٠.

٧. البخاري، سر السلسلة العلوية، ٣٨؛ اليافعي، مرآة الزمان وعبرة اليقظان، ٢: ١٠.

أما مكان ولادته فقد أجمع المستشرقون على أنها كانت في المدينة المنورة، وهو ما صرّحت به أغلب الدراسات الاستشراقية عند ترجمتها للإمام الرضا عليه السلام على أنّهُ المكان الذي حظي بولادته صلوات الله وسلامه عليه.

اللقب والكُنية:

أمّا ألقابهُ عليه السلام فقد أجمعت الدراسات الاستشراقية[١] التي أسهمت بدراسة سيرته الشخصية التصرّيح باللقب المعروف بالرضا الذي أشتهر به، حتى صارَ إسمًا يُردّدونه كلما ذكروه في دراساتهم عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، ولم يُلّقبوا به أحدًا سواه من الشخصيات الإسلامية.

وقد أضفى الفرنسي ريشار على هذا اللقب ترنيماتٍ جميلة تنمُّ عن روحية الإمام عليه السلام العرفانية والاجتماعية والانسانية، وشارحًا باختصار معانيه، قائلًا: «الإمام الثامن- الرضا -، لقبُ الرضا، بمعنى مَن يُعجب الله والناس»[٢].

إلاَّ أنّهم - المستشرقون - يرفعون الإضفاء بهذا اللقب أو التصريح به على الإمام عليه السلام لأول مرّة مِن قِبل الخليفة العباسي المأمون، وقد اتفقت مصادرهم على أنّ علي بن موسى الرضا عليه السلام لم يكترث بهذا اللقب، وإنّما قَبِلَهُ إستجابةً لإصرار المأمون الذي أخذ البيعة لولي العهد الجديد من العباسيين والعلويين وكبار رجال الدولة[٣]. لكن ما وردَ من سؤال أبي نصر البزنطي للإمام محمّد الجواد عليه السلام ينفي ذلك الإدعاء، إذ جاء فيه قولهُ: «**إِنَّ قَوْمًا مِنْ مُخَالِفِيكُمْ يَزْعُمُونَ**

١. ينظر: شتروتمان، الشيعة الاثنا عشرية في زمن المغول، ٢٤١؛ سايكس، تاريخ بلاد فارس،٢: ٥؛ بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ١٩٨؛ تيرنر، التشيع والتحول في العصر الصفوي، ٢٤٥؛ Muir, *The Caliphate its ris decline and fall*, 495.

٢. ريشار، الإسلام الشيعي (عقائد وايديولوجيات)، ٦٥.

٣. لويس، موجز دائرة المعارف الإسلامية، ٧٤٢٥.

أَبَاكَ إِنَّمَا سَمَّاهُ الْمَأْمُونُ الرِّضَا لِمَا رَضِيَهُ لِوِلَايَةِ عَهْدِهِ فَقَالَ عليه السلام: كَذَبُوا وَاللَّهِ وَفَجَرُوا بَلِ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَمَّاهُ الرِّضَا لِأَنَّهُ كَانَ رِضًى لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي سَمَائِهِ وَرِضًى لِرَسُولِهِ وَالْأَئِمَّةِ مِنْ بَعْدِهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ فِي أَرْضِهِ قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: أَ لَمْ يَكُنْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ آبَائِكَ الْمَاضِينَ عليهم السلام رِضًى لِلَّهِ تَعَالَى وَلِرَسُولِهِ وَالْأَئِمَّةِ عليهم السلام؟! فَقَالَ: بَلَى، فَقُلْتُ: فَلِمَ سُمِّيَ أَبُوكَ مِنْ بَيْنِهِمْ الرِّضَا؟ قَالَ لِأَنَّهُ رَضِيَ بِهِ الْمُخَالِفُونَ مِنْ أَعْدَائِهِ كَمَا رَضِيَ بِهِ الْمُوَافِقُونَ مِنْ أَوْلِيَائِهِ...»[1]. وأكّدَ بعض أهل العامة ذلك كالجويني[2] والحنفي[3].

أما كُنيته عليه السلام المشهورة بأبي الحسن فقد عُرفت في مُدوناتهم وذكروها مِرارًا في دراساتهم دون ذكر غيرها من الكُنى، كما يُشير لذلك لويس، بقوله: «ويُعرف بأبي الحسن بن موسى بن جعفر ثامن أئمة الشيعة الاثنى عشرية»[4].

علمهُ وتقواه:

أدلى رجال الفكر والعلم والمعرفة من المستشرقين على تعظيم شخصية الإمام علي الرضا عليه السلام والاعتراف له بالفضل والتفوق العلمي على غيره من عصره، وما قام به في تكوين الثقافة الإسلامية، وتنمية الفكر الإنساني، وقد اتفقت كلماتهم على أنه أسمى شخصية علمية عرفها العالم العربي والإسلامي، وأحد أشهر عُلماء المسلمين علمًا وتقوىً ومعرفةً في عصره[5]، وأدى دورًا بارزًا في تاريخ الإسلام من

١. الصدوق، عيون أخبار الرضا، ١: ١٣.

٢. الجويني، فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين والأئمة من ذريتهم، ٢: ١٨٧.

٣. الجامي الحنفي، شواهد النبوة، ١٨٣.

4. Meri, *Encyclopedia Medieval Islamic Civilization*, 1: 400.

5. *The New Encyclopadia Britannica*, 1: 268.

كلتا وجهتي النظر الدينية والفكرية، فهو قائد وعالم كلام على المستوى العالمي، كما شكلَّ مرجعًا في تفسير القرآن وأحاديث النبي محمّد صلى الله عليه وآله، إذ جلسَ للفتوى في مسجد النبي محمّد صلى الله عليه وآله في المدينة المنورة[١]، كما جمع أبرز ذاتياته العبادية والتقوائية، وهو ما جاء على لسان الدكتور جون هوليستر[٢]، بقوله: «كان رجل ورع وتقوى، متواضعًا في سيرته بعيدًا عن كل نوع من أنواع العجرفة والكِبر. وكان كذلك سخيًا تجاه الفقراء، عطوفًا على الشيعة المنكوبين. بالإضافة إلى كونه مُتشددًا في أداء الواجبات الدينية»[٣]

ثم يتطرّق هوليستر عن الإمام عليه السلام وكونه زعيمًا لطائفته وعصره، وأنّه كان شجاعًا فعالًا في هذه الناحية من حياته، ويُعللُ سبب ذلك إلى تأثر جماهير الناس به حتى من موظفي الدولة على حدٍ سواء أدت بالتالي إلى أن تكون له دعاية واسعة مُنظمة، وخير مثال على ذلك قصة إنقلاب الفضل بن سهل وانضمامه إلى جانب الشيعة ممّا يدل على نشاط هذه الدعاية في أوساط المسؤولين.

واتّسمَ عصر الإمام الرضا عليه السلام بشيوع المناظرات والاحتجاجات العلمية والفلسفية والدينية بين زعماء الأديان والمذاهب الإسلامية وغيرها، وقد دلّلت تلك المناظرات في خراسان والبصرة والكوفة عن إحاطته التامة بجميع أنواع العلوم والمعارف، وخاصةً المؤتمرات التي كان يعقدها المأمون في قصره بخراسان وبحضور زعماء الأديان وكبّار العلماء من المتمرسين في مختلف العلوم

---

١. لويس، موجز دائرة المعارف الإسلامية، ٢٤: ٧٤٢٥.

٢. جون نورمان هوليستر(John Hollister) مستشرق انكليزي، كان من رواد الحركة الميثودية الدينية في بريطانيا وامريكا، تقدّم بكتابه: تاريخ الشيعة في الهند كاطروحة دكتوراه سنة ١٩٤٦م إلى كلية مدرسة كيندي للإراسليات، من مؤلفاته: الذكرى المئوية للكنيسة الميثودية في جنوب آسيا.

3. Hollister, *The Shi`a of India*, 80-84.

ليسألوا الإمام عليه السلام عن أعقد المسائل العلمية، فانبرى الإمام عليه السلام في خوض تلك المناظرات الطويلة كما يقول هوليستر وبذل جهدًا غير يسير في شرح عقائد الشيعة ومبادئهم التي تدعو إلى الاجتهاد وحرية الرأي، ويؤكد هوليستر إلى تأثر المأمون العباسي بآراء الرضا عليه السلام وفلسفته الدينية من خلال تلك المناظرات.

ويتأسف دونالدسون على أن ما تحت أيدينا من تدوين لتلك المناظرات والاجتماعات العلمية جاءت متأخرة، فقد سجّلتها المراجع الشيعية بعد مئتي سنة من الحادث على يد ابن بابويه الصدوق[١،٢] ويحتمل أيضًا – دونالدسون – أن الجاثليق المجهول الوارد ذكره في أخبار هذه الاجتماعات هو ثيودور أبو قره[٣] – كاهن حران–[٤] مُعتمدًا على ما أورده البريطاني ألفريد جيوم[٥] في كتابه «مناظرة بين الأطباء المسيحيين والمسلمين»[٦].

ويرى الفرنسي ريشار أنّ الإمام عليه السلام كانت له ممارسات في علومٍ علمية أخرى

---

1. Ibid.

٢. الصدوق، عيون أخبار الرضا، ١: ١٣٩ – ١٤٣.

٣. هو ثاوذورس ومعناه بالعربية «هبة الله» أو «عطا الله»، ولد في مدينة الرها بمنطقة ما بين النهرين سنة ٧٤٠ أو ٧٥٠م، جاء من الاوساط العربية الإسلامية، عُرف بنشاطه الفكري في أواسط العباسيين في عهد الرشيد والمأمون وله حوارات مع أئمة المسلمين، توفي سنة ٨٢٤ م. ينظر: قنواتي، المسيحيّة والحضارة العربيّة، ٢٦٣.

٤. دونالدسون، عقيدة الشيعة، ١٧٥.

٥. وليام الفريد جيوم (Alfred Guillaume) ولد سنة ١٨٨٨م، استاذ اكاديمي في جامعات: الولايات المتحدة الامريكية ولندن وتركيا، وكان عضوًا في مجمعي اللغة العربية في سوريا والعراق، له مصنفات عدة، منها: تراث الإسلام، واثر اليهودية في الإسلام، ومدخل إلى علم الحديث، وغيرهما، ينظر: العقيقي، المستشرقون، ٢: ١١٧–١١٨.

6. Guillaume, *Debate between Christian and Muslim Doctors*.

بعيدًا عن العلوم الدينية كاهتمامه بعلوم الطب وغيره، وأنّ المناظرات كانت خير دليل على توّسع أُفقه العلمي والثقافي، بقوله: «والواقع أنّ الإمام الرضا كان أشد ولعًا بممارسة الطب، وبتبادل الآراء حول القضايا الثقافية والدينية، وقد حفظ لنا التاريخ مناقشاتٍ رائعة، كان فيها يتجادل مع علماء مسيحيين، أو يهودًا وزرادشتيين، أكثر ممّا يتجادل معهم حول القضايا السياسية»[١].

ونقل المستشرقون أمثال كارل بروكلمان[٢] أنّ الإمام الرضا عليه السلام ألّفَ مجموعة من الكتب، تُدلل على سعة علمه، وقد تنوعت بين أحكام الشريعة، وعلم الكلام، وعلم الطب وغيره ممّا نُسبَ إليه: فقه الرضا، اصول الدين، الرسالة الذهبية، صحيفة الرضا[٣].

رؤية المستشرقين في إمامتهِ عليه السلام:

الإمامة واحدةٌ من تلكمُ التحولات الخطيرة التي شهدت وضعًا دينيًا مختلفًا بين المسلمين، فهي ليست مسألةً عابرةً سطحيةً إحتوت البساطة في مجرياتها، بل كان لها الأثر الأكبر عمقًا في إمتداد الرسالة الإسلامية والأكثر تأثيرًا في سير خطّها الطويل.

ولذا أسهمت بعض الدراسات الاستشراقية لمحور الإمامة في بيان الخطوط العريضة والواقعية لمعتقدات الشيعة أمام العالم، ولم تقتصر تلك الدراسات والتوجهات على مدرسة من المدارس؛ بل اتسعت اهتماماتها على أغلب المدارس الاستشراقية، فأنجبت تلك المدارس عددًا لا بأس به من الدراسات القيّمة، إذ

---

١. ريشار، الإسلام الشيعي (عقائد وايديولوجيات)، ٦٦.

٢. بروكلمان(Carl Brockelmann) ولد سنة ١٨٦٨م، من مؤلفاته: العلاقة بين كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير، وتلقيح فهوم أهل الآثار في مختصر السير والأخبار، والوفا في فضائل المصطفى، وغيرهما. ينظر: بدوي، موسوعة المستشرقين، ٩٨-١٠٥.

٣. بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ٣: ٣٣٥-٣٣٦.

جاءت تارةً في بحوث مستقلة، وأخرى وردت ضمنية من خلال الدراسات المتعقلة بعقائد الشيعة، ومن تلك الدراسات مادوّنته يراع المستشرق الألماني اشتروطمان[١] والتي تناولها في كتابة المعروف الشيعة الإثني عشرية[٢] الذي ألفه سنة ١٩٢٦م، مصدرًا مهما للمستشرقين الألمان من بعده، مستندًا ومعتمدًا على المصادر الشيعية في بيان نظرية الإمامة.

أما بحوث المستشرق مادلونغ[٣] المثيرة للجدل فقد ركّزت على عقيدة الشيعة في الإمامة والتي نشرها في دائرة المعارف الدينية بعنوان «الإمامة»، وأشارَ فيه إلى أنَّ الإمام عند الشيعة هو قائد السلطة الإلهية والسياسية في آنٍ واحد بما يعادل مفهوم divinely guider، ثم كتب بحثًا آخر في دائرة المعارف الإسلامية تحت عنوان «إمامة Imama»، تناول فيه نظرية الإمامة عند مختلف الفرق الإسلامية[٤].

أما ما يتعلّق بحقيقة إمامة الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام فهي من ثوابت الدين الإسلامي الحنيف عند الإمامية، ومن البديهيات التي لا تقبل الجدل والشك؛ لقيام النص في تعينه على لسان النبي محمّد صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام[٥]، وأنّها امتدّت كما ينص هوليستر من سنة ١٨٣هـ إلى سنة ٢٠٣هـ[٦].

---

١. رودولف اشتروطمان(Strothmann) ولد سنة ١٨٧٧م، له عدة مصنفات منها: مذهب الزيدية في الإمامة، وأبحاث في المبتدعة، وبدر وأحد وكربلاء، والشيعة الاثنا عشرية، والبربر والاباضية، والنصيريا في سوريا، وغيرهما، ينظر: بدوي، موسوعة المستشرقين، ٣٤ – ٣٥.

2. Rudolf, *Die Zwolfer Schia*.

٣. ولفرد فرديناند مادلونغ(Madelung) ولد في ألمانيا سنة١٩٣٠م، شغل منصب أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة شيكاغو وبعدها شغل منصب أستاذ اللغة العربية بجامعة أوكسفورد.

٤. جماعة من المستشرقين، دائرة المعارف الإسلامية، ٢: ٦١٣.

٥. للاطلاع ينظر: الكليني، الاصول من الكافي، ١: ٢٩٧ و٣٠٤؛ القمي، كفاية الأثر في النص على الائمة الاثني عشر، ٣١١؛ الحر العاملي، اثباة الهداة بالنصوص والمعجزات، ٥: ٢١٤.

6. Hollister, *The Shi`a of India*, 80-84.

وقد كثُر الجدل في الاعتراف بإمامته عليه السلام عند الفرق والتيارات الإسلامية في عصره، فالواقفية مثلًا وقفوا على الإمام السابع للشيعة موسى الكاظم عليه السلام، فلم يقولوا بإمامة الرضا عليه السلام من بعده، حيث زعموا أن الإمام الكاظم عليه السلام لم يمت وأنه حي، وأنهم ينتظرون خروجه، ولذا ولجَ المستشرقون[1] الخوض في ضمار هذه الاختلافات لما للإمامة من أهمية كبرى في الوسط الديني، وبيّنوا رؤيتهم المعرفية عن واقع المسلمين أنذاك، إذ توصّلوا إلى أنَّ أهم ما يُميّز الفكر الشيعي عن غيرهم من المسلمين عقائديًا وسياسيًا هو مفهوم الإمامة، وأكدوا أنّ الإمامَ عليًّا الرضا عليه السلام هو الإمام الثامن للشيعة الإثني عشرية[2].

وعيّن المستشرق الفرنسي هنري كوربان[3] في تاريخه الفلسفي خليفة الإمام موسى الكاظم عليه السلام بعد أن حصرَ لقب الإمام بالأئمة الإثني عشر، وأنَّ الشيعة إنما يعترفون بإمامة إثني عشر شخصًا من أهل البيت عليهم السلام، وأنَّ عِلم الإمامة نتيجة بديهية أساسية للفلسفة النبوية، وأنَّهم الأئمة عليهم السلام حقيقة واحدة، ونور واحد، وهم أوصياء معارف رسول الله صلى الله عليه وآله، وعددهم كوربان بحسب ظهورهم التاريخي، فكان منهم الإمام عليٌّ الرضا عليه السلام، بقوله:

«ولأنّهم حقيقة واحدة ونور واحد، فإنّ ما يقال عن إمام منهم يصدق على كل من الإثني عشر الباقين. وهم يتتابعون، بحسب ظهورهم في التاريخ على هذا الشكل: ١- علي أمير المؤمنين(٤٠هـ-٦٦١م) ٢- الحسن المجتبى(٤٩هـ-

1. Meri, *Medieval Islamic Civilization an Encyclopedia*, 1: 35.

٢. هالم، الشيعة، ٤٤؛ أ. جي، موجز دائرة المعارف الإسلامية، ٢٤: ٧٤٢٥.

٣. هنري كوربان (Henry Gorbin) سنة ١٩٠٣م، له مصنفاتٌ عدة، منها: كشف المحجوب، وجامع الحكمتين، وعبهر العاشقين، والمشاعر لصدر الدين الشيرازي، وغيرها، ينظر: بدوي، موسوعة المستشرقين، ٤٨٢-٤٨٥.

٩٦٩م) ٣- الحسين سيد الشهداء(٦١هـ-٦٨٠م) ٤- علي زين العابدين(٩٢-٧١١م) ٥- محمّد الباقر(١١٥هـ-٧٣٣م) ٦-جعفر الصادق(١٤٨هـ-٧٦٥م) ٧- موسى الكاظم (١٨٣هـ-٧٩٩م) ٨- علي الرضا(٢٠٣هـ-٨١٣م) ٩- محمّد الجواد التقي (٢٢٠هـ-٨٣٥م) ١٠- علي النقي(٢٥٤هـ-٨٦٨م) ١١- الحسن العسكري (٢٦٠هـ-٨٧٤م) ١٢- محمّد المهدي القائم، الحجة. وقد رددوا جميعًا أنهم أوصياء على معارف رسول الله، ومعارف الأنبياء السابقين»[١].

ورسم الدكتور جيمس ليندزي[٢] في كتابه: العالم الإسلامي، خارطة بأسماء الأئمة الاثنا عشرية وضمّنهم الإمام علي بن موسى الرضا[٣].

المبحث الثاني: عصر الإمام الرضا عليه السلام السياسي في المنظور الاستشراقي

وفيه عدة مطالب، منها:

- اختيار الوريث السياسي.
- الإمام الرضا عليه السلام وولاية العهد.
- اغتيال السلطان الرضا عليه السلام.

قرأ بعض المستشرقين الدعوة العباسية منذُ قيامها ونظروا إليها إلى أنّها صراع عنصري بين العرب والفرس، وجعلوها في صورة صراع حاد بين الشعوب الإسلامية حول السلطة والسيادة، وكان من رواد هذا الإتجاه فلوتن[٤] الذي أكّد

١. كوربان، تاريخ الفلسفة الإسلامية، ١: ١٠١.

٢. جيمس ليندزي، ومتخصص في التاريخ المبكر للإسلام، والخلافة، وقصص الأنبياء، له مجموعة دراسات منها: البعد التاريخي للإسلام، وتحرير كتاب ابن عساكر، وتاريخ الإسلام المبكر، ودعوة فاطمة في افريقية، وغيرها.

٣. ليندزي، العالم الإسلامي في العصور الوسطى، ٢٣.

٤. خِرْلوف فَن فلُوتَن (Vloten) ولد سنة ١٨٦٦م، من أوائل الذين اهتموا بآثار الجاحظ، توفي سنة

على وجهة النظر القومية في تفسيره إلى الثورة العباسية وبيّن أنّها ثورة الفرس ضد العرب[١]. وقد تبنى المستشرقون الآخرون هذا التفسير في مؤلفاتهم مثل: فلهاوزن[٢] في كتابه تاريخ الخلافة[٣]، ونولدكه[٤] في كتابه: مقتطفات من تاريخ الشرق.

هذا الرأي ألقى بظلاله أيضًا في تولّي السلطة العباسية في الفترة التي عاصرت إمامة الإمام علي الرضا عليه السلام بعد موت هارون العباسي، فكان الحزب العربي كما يقول الإنكليزي دونالدسون كثير التوق إلى أن يخلف هارون الرشيد في الخلافة إبنه الأمين دون المأمون؛ لأنه عربيًا محضًا في أصله بينما كان أخوه المأمون من أمٍ فارسية هي الجارية مراجل[٥].

لكنه – هارون– كان يعترف بقابلية المأمون وأرجحيته للحكم، فكانت تنتابهُ كما يصفهُ المستشرق بالمر[٦] حِيرةٍ تنمُّ عن تخوّفه من اختلاف إبنيه تؤدي بالتالي إلى

١٩٠٣م، له عدة أعمال تأليفية، منها: مجيء العباسيين إلى خراسان، وتحقيقية منها: مفاتيح العلوم للخوارزمي، والبخلاء ورسائل صغيرة للجاحظ.

ينظر: بدوي، موسوعة المستشرقين، ٤١٠.

١. فلوتن، السيطرة العربية والتشيع والمعتقدات المهدية في ظل خلافة بني أُمية، ١٧٥–١٧٨.

٢. مستشرق ألماني، ولد سنة ١٨٤٤م، صاحب الفرضية الوثائقية، من أعماله: المملكة العربية وسقوطها، تاريخ الدولة الأموية، دين العرب في الجاهلية، وغيرها. ينظر: هويدي، الاستشراق الألماني: تاريخه دوافعه وتوقعاته المستقبلية، ٢٦.

٣. فلهاوزن، تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، ٤٦٧–٥٣٤.

٤. نولدكه (Noldeke) ولد في سنة ١٨٣٦م، حصل على لقب شيخ المستشرقين الألمان بسبب طول عمره الذي جاوز الرابعة والتسعين، توفي سنة ١٩٣٠م، ينظر: حمدان، طبقات المستشرقين، ٢٠٨.

٥. دونالدسون، عقيدة الشيعة، ١٦٩.

٦. ادوارد هنري بالمر (Balmer) ولد سنة ١٨٤٠م، تعلم في المدارس اليونانية، شارك في عدة رحلات استكشافية، توفي سنة ١٨٨٢م، ينظر: بدوي، موسوعة المستشرقين، ٦٧.

أن تنقسم الامبراطورية الإسلامية على نفسها بسبب السياسة العرقية[١].

أخذت الأحداث تتسارع حينما خرجَ هارون سنة ١٩٢هـ من بغداد بجيشه متوجهًا بمعية إبنه المأمون لإخماد الفتن الثورية في خراسان، إلاّ أنّ هارون أُصيب في الطريق بمرضٍ شديد ومات على أثره ودفن في منطقة طوس، ومن ثم استلم المأمون قيادة الجيش فوطّد السلم في خراسان، وأعلن نفسه خليفةً على المسلمين، ولم يجرأ على العودة إلى بغداد؛ لأنَّ أخيه الأمين تصدّر عرش الخلافة، فدَبَّ الخلاف بين الأخوين، وأدت بالتالي إلى قيام حرب بين الطرفين، وبلغت المعركة أوجها في حصار بغداد من سنة ١٩٦هـ وحتى سنة ١٩٨هـ لم ينته إلاّ بإرسال رأس الأمين إلى خراسان[٢].

وبإنتصار المأمون كما يقول نيكلسون[٣] أخذَ بثار البرامكة الذين سقطوا على يد أبيه هارون من قبل بشكل وافٍ، فانتعشت الروح العرقية من جديد[٤].

إختيار الوريث السياسي:

يتفق المستشرقون إلى أنَّ حِراكًا سياسيًا، وخلافًا حادًا حصل داخل مفاصل الأُسرة العباسية حدثَ في زمن خلافة المأمون، وهذا الخلاف تَمَثّل في تسمية

1. Palmer, *Haroun Alrachid Caliph of Baghdad*, 119

٢. للإطلاع على الصراع بين الأمين والمأمون ينظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٦: ٥٤٤؛ الرازي، تجارب الامم، ٤: ٢٥-١٣١ ؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ٣: ٤١٦-٤٤١ ؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢: ٤٣٦-٤٥٥.

٣. رينولد آلن نيكلسون (Nicholson) مستشرق انكليزي، ولد سنة ١٨٦٨م، درس في جامعة ابردين وكمبرج، يُعد من أكبر الباحثين في التصوف الإسلامي، توفي سنة ١٩٤٥م، من مصنفاته: الصوفية في الإسلام، واهداف التصوف الإسلامي، وترجمان الاشواق لابن عربي، ينظر: بدوي، موسوعة المستشرقين، ٥٩٣.

٤. نيكلسون، تاريخ الأدب العباسي، ٣١.

وتقليد الإمام علي الرضا عليه السلام وليًّا للعهد في الحكومة العباسية، أو كما أطلقَ عليه الإسكتلندي مونتغمري واط[١] «الوريث الشرعي»[٢]، وهي تسمية غير موفّقة؛ لأنَّ المأمون لم يُنصّب الإمام عليه السلام وريثًا شرعيًا وإنما وليًّا للعهد وهذا يتضارب مع رأي واط.

هذا الاختيار عُدَّ سابقةً خطيرةً والأولى في تاريخ بني العباس الذين صبوّا اهتمامهم بالقضاء على البيت العلوي قدر المستطاع، إذ أثار هذا التعيين ردود أفعال مُتباينة، فالقليل من الشيعة كانوا فرحين ومؤيدين تمامًا[٣]، والذي يُقرر كما يصفهُ برنارد بصراحة ما يدّعونه في حقّهم في الخلافة،[٤] وبدا بذلك أنَّ الآمال الشيعية قد أصبحت توشك على التحقيق كما يراهُ الألماني هاينس[٥].

أما في بغداد فإنَّ الأُسرة العباسية كانت مُنزعجة تمامًا من جنوح المأمون إلى الحزب الشيعي من خلال إعطاء ولاية العهد إلى العلوي علي بن موسى الرضا وكما يصف آثار هذا الفعل الإنكليزي نيكلسون بأنَّه نَفّرَ أعضاء أُسرته منه، وأفضت إلى خلعه مؤقتًا[٦]، وقد نظروا إلى أعضائهم لأجل الخلافة الجديدة، فاختاروا عمّه ابراهيم بن المهدي خلفًا عنه[٧].

---

١. وليام مونتغمري واط (Montgomery Watt) ولد في سنة ١٩٠٩م، له: محمّد في مكة، ومحمّد في المدينة، ومحمّد نبي ورجل دولة، والقضاء والقدر في القرون الاولى للهجرة، والفكر السياسي الإسلامي، وأثر الإسلام على أوربا في العصر الوسيط، وغيرهما، ينظر: العقيقي، المستشرقون، ٢: ٥٥٤.

٢. واط، حفريات استشراقية: إعادة تقويم التشيع في العصر العباسي، ٣: ١٢٨.

3. *The New Encyclopadia Britannica*, 1: 268.

4. *The Encyclopaedia of Islam*, 1: 400.

٥. هالم، الغنوصية في الإسلام، ١٦٤.

٦. نيكلسون، تاريخ الأدب العباسي، ٣١-٣٢.

7. Sykes, *A History of Persia*, ll: 5-6.

وقد أدلى عددٌ من المستشرقين الخوضَ في الأسباب الموجبة التي دعت المأمون من تسمية الإمام الرضا عليه السلام وليًّا للعهد، ورغبته الجامحة لتوليّه هذا المنصب دون غيره في هذه المرحلة، إذ لاحظنا أنَّ الانكليزي جون جلوب[1] يُحلل في كتابه امبراطورية العرب[2] وضعَ المأمون وامبراطوريته، واضطراره لتعيين الإمام الرضا عليه السلام لولاية العهد تحليلًا بارعًا لابد من إيراده هنا، إذا يُشير إلى أنّ قتلَ الأمين في الفتنة التي نشبت بينه وبين المأمون قد أعقبته حدوث ثورات عدة قامَ بها عدد من السادة العلويين في جهات مختلفة من الامبراطورية، فقد بدأت أولًا في الكوفة خلال شهر شباط ٨١٥م، وتبعتها حركات أخرى في مكة والمدينة وواسط والبصرة، وحدثت ثورات أخرى بعد ذلك في اليمن فاستولى الشيعة فيها على الحكم، وازدادت نقمة أهالي بغداد على المأمون؛ لأنه عيّنَ الحسن بن سهل شقيق وزيره الفضل بن سهل لحكم العراق وبلاد العرب على أثر مقتل الأمين، ثم استمرت ثورة العلويين في الجهات المذكورة واتخذت شكلًا مُهددًا، فهُوجِمَ العباسيون ومؤيدهم فيها ونهبت بيوتهم فحرقت، ثم قُتلَ كل من كان يرى مُتشحًا بالسواد، وقد زاد في الطين بلّة ما يُخالج نفوس العرب، والعباسيين على الأخص، من موازرة الفرس للمأمون خلال انتصاره على أخيه الأمين بتلك الطريقة المؤلمة، وارتفاع شأن الفضل بن سهل وأخيه الحسن بحيث صارا يلعبان

Abbott, *Two Queens of Baghad Mother and Wife of Harun AL-Rashid*, 224؛ Hollister, *The Shi'a of India*, 80-84.

١. السير جون باخوت (Sir John Bagot Glubb) المعروف بـ« جلوب » أو « غلوب باشا »، ولد سنة ١٨٩٧م، أصبح رئيس للاركان العامة للفيلق الغربي في الجيش الاردني، عمل في العراق سنة ١٩٢٠م بعد خدمته في سلاح المهندسين الملكي خلال الحرب العالمية الاولى، توفي سنة ١٩٨٦م.

2. Glubb, *The Empire of The Arabs*.

في مقدرات الدولة في الحال وهما ما زالا قريبي عهد بالفارسية[١].

وفي نهاية المطاف يُعلّق السير جلوب، قائلًا:

«كان علي الرضا ابن موسى الكاظم هو الرجل الذي رغبَ المأمون في الاعتراف به كخليفة بعده. ولأنَّ عليًا كان في ذلك العصر إمام الشيعة الذي يتجلى فيه النور الإلهي تبعًا لعقيدتهم فإنَّ الاعتراف به كخليفة لكل بلاد المسلمين كان سيوحد العالم الإسلامي من الناحية النظرية. وفي الحقيقة فقد كانت هناك مصالح كثيرة ثابته يجب مراعاتها وأرصدة قديمة كثيرة يجب دفعها لجعل هذا الأمر مُمكنًا»[٢].

ويؤيد مونتغمري ما وردَ في هذا التحليل من استشعار تهديد وحدة الدولة في حكم المأمون من الجماعات ذوي النفوذ الكتاب، الشيعة والفرس من ناحية، وعلماء الدين، السنة والعرب من ناحية اخرى، فحاول المأمون إسترضاء الجماعات المعارضة لتعيين وريث له الرجل الذي يعترف به كثير من الشيعة إمامًا[٣]. لذا فإنّ مونتغمري قد وضع لنا رأيًا سبق هذا التحليل صوّرَ فيه حال الشيعة، وإلتجأهم إلى إمامٍ رباني عند وقوعهم في مأزق، قائلًا:

«الفرق الاساسي بين المذهب الشيعي ومذهب أهل السنة فيما يخص هذا التنافر هو أنه حين يكون الشيعة في مأزق فإنهم يبحثون عن قائدٍ مُلهم إلهيًا، عن إمام»[٤].

وتطرّق بروكلمان إلى ولاية العهد من جهة نظر استشراقية مفادها أنَّ المأمون كان أكثر نضجًا وكياسة سياسية قرأ الأمور في دولته بصورة صحيحة، وتوصّلَ

---

١. جلوب، امبراطورية العرب، ٤٤٠-٤٤٤.

٢. م.ن.، ٤٤٥.

٣. واط، الفلسفة وعلم الكلام، ٦٩.

٤. م.ن.

إلى نتيجة أنّ ضبط الأمور مع أئمة أهل البيت عليهم السلام ستُعطي حُكمه صبغه دينية عُليا لا تتوفر له كما ستتوفر عند وجود الإمام الرضا عليه السلام كولي للعهد، بقوله:

«وحَسبَ المأمون غيرَ شكّ، أن في استطاعته إكتساب عطف العراقيين إذ عقد لعلي بن موسى الرضا على إبنته، وسمّاه وليًّا للعهد»[١].

وربما وجدَ البعض من المؤرخين[٢] أنَّ تسمية ولاية العهد للامام الرضا عليه السلام هي إشارة واضحة نحو توّجه المأمون ومَيله إلى التشيّع، وهو أمرٌ قد رفضته عدد من البحوث الاستشراقية التي قرأت ولاية العهد، إذ بالعكس يرى إدوارد براون[٣] أنّها كانت سببًا لإعلان الفتنة داخل البيت الشيعي، بقوله:

«وقد هيأ ميل المأمون إلى مذهب الشيعة كل الظروف لإشعال نار حرب أهلية، خاصة عندما اختار ثامن الأئمة حضرة علي بن موسى الرضا»[٤].

وأما المستشرق نيومان[٥] فإنه يرجعُ هذا الميل إلى دائرة المصالح السياسية التي كان يُخطط لها المأمون، بقوله:

---

١. بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ١٩٨.

٢. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ٣٣٢؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٥: ٥-٦؛ الأمين، أعيان الشيعة، ٢: ١٥.

٣. مستشرق انجليزي (Edward Granville Browne) ولد سنة ١٨٦٢م، حصل على بكالوريوس الطب سنة ١٨٨٧م، كان مهتما باللغات الشرقية وخاصة في الادب الفارسي، أقام في ايران فترة من الزمن، عُيّن سنة ١٨٨٨م استاذًا للغة الفارسية في جامعة كمبردج، ثم قام برحلات إلى باريس وتركيا وتونس ومصر وغيرهما، توفي سنة ١٩٢٦م، له عدة مصنفات منها: التاريخ الادبي الفارسي، والطب العربي، وكتاب لباب الالباب، وغيرهما، ينظر: بدوي، موسوعة المستشرقين، ٧٩؛ حمدان، طبقات المستشرقين، ٩٣- ٩٤.

٤. براون، تاريخ الأدب في ايران، ج١، ب٣-٤، ص١٠٨.

٥. آندرو جي. نيومان(Newman) استاذ الدراسات الإسلامية والشيعية في جامعة ادنبره، له مصنفات عدة منها: ايران الصفوية، ولادة الامبراطورية الفارسية، والشيعة الاثنا عشرية الوحدة والاختلاف.

«وكان تنصيب الرضا وليًّا للعهد من قبله- المأمون - في عام ٢٠١هـ/ ٨١٧م قد كشفت عن ميوله الشيعية الواضحة أو على الأقل مُداراته للشيعة بسبب مصالح سياسية»[١].

وعلى الرغم من تعاطف المأمون العلني للتشيع فإنه لا يدل على تمذهبه له من خلال استمرار عدد من المشاكل مع أبناء الشيعة، ومنها كما يؤكد (نيومان) مشكلة دفع خراج أهالي مدينة قم إلى المركز في حقبة ولاية عهد الرضا عليه السلام[٢].

الإمام الرضا عليه السلام وولاية العهد:

درسَ المستشرقون مسألة ولاية عهد المأمون للإمام علي الرضا عليه السلام والصبغة السياسية الواضحة على معالمها، ومحاولة زج الإمام عليه السلام في المعترك السياسي للحكومة العباسية.

أفرد الدكتور دونالدسون فصلًا[٣] خاصًا، كتبَ فيه بشيء من التفصيل عن الإمام الرضا عليه السلام، وعنونه بعنوان: «علي الرضا، الإمام الذي تورّطَ في السياسة»، شرحَ فيه كيفية إستقدامه من المدينة المنورة من قبل المأمون سنة ٢٠٠هـ، مبتدءً برحلته الطويلة إلى مرو عاصمة الخلافة والتي كانت تُعد في تلك الأيام الزاوية الشمالية المتطرفة من ايران...، وحينما وصل إلى مرو وجدَ المأمون مُصرًا على رأيه، لكنه عاملهُ بحفاوة، وحاول بجميع الطرق والوسائل إقناع الإمام عليه السلام على قبول الخلافة أو ولاية العهد من بعده، فامتنعَ من إجابته إمتناعًا شديدًا، إلاَّ أنّه بعد

١. نيومان، الحقبة التأسيسية للتشيع الاثني عشري: خطاب الحديث بين قم وبغداد، ١٥٠.
٢. م.ن.، ١٥٤.
٣. دونالدسون، عقيدة الشيعة (الفصل الخامس عشر)، ١٦٩-١٧٧.

نفاذ جميع الطرق الدبلوماسية أُجبرَ في نهاية الأمر على قبولها[١].

ويذهب دونالدسون إلى أنه – الإمام الرضا– بعمله هذا قد تخلّى عن الخطة التي كان قد إتّبعها أسلافه الأئمة الثلاثة في هذا الشأن؛ لأنَّ الإمام لا يمكن أن يكون وليًّا للعهد في الخلافة ما لم يصبح متورطًا بشدة في السياسة، على أنّه جاهدَ في تفهّم الناس بأن ذلك لم يكن يتّفق ورغبته، وإنما كان يفعل بموجب ما دُعي إليه[٢].

وكان للمستشرق كونسلمان[٣] حصةً لا بأس بها بشأن هذا الموضوع إلاَّ أنّه لم يكون في البداية موفّقًا في سرد رحلة الرضا عليه السلام إلى خراسان عندما قال:

«فقامَ الخليفة عظيم بيت آل عباس، بدعوة الإمام الثامن علي الرضا، كرجلٍ حُر، بل كضيف في بغداد وليُشارك هناك في تحمّل المسؤولية، فبدأ علي الرضا رحلته الطويلة من مكة إلى بلاد الرافدين...، ولهذا لم يكن غريبًا أن يستنفذ الإمام علي الرضا وقتًا طويلًا في الطريق، فقلد فكّرَ فيما إذا كان من الأفضل لرجل في مثل مكانته أن يبقى مُبجّلًا، على أن يفقد طموحه السياسي، وبالرغم من بطءِ الإمام إلاّ أنّ رحلته إنتهت أخيرًا في بغداد»[٤].

---

١. م.ن.، ١٧٢.

٢. م.ن.

٣. مستشرق ألماني (Gerhard Konzelmann) باحث في التاريخ والشؤون السياسية، عمل في مجال الصحافة، ومحققًا بالتلفزيون الألماني، ومن خلال عمله هذا صار على دراية كبيرة بالتطورات السياسية في منطقة الشرق الأوسط وخاصة في المنطقة العربية، له مؤلفات كثيرة منها: العرب والقدس، وأغنياء الشرق، والحرب غير المقدسة (لبنان)، والنيل، وغيرها، ينظر: كونسلمان، سطوع نجم الشيعة، المقدمة.

٤. م.ن.، ٨٨.

ويتّضح ممّا سبق أن الألماني كونسلمان يجهل مكان وجود المأمون في مرو، ولم يتطرّق لإسم تلك المدينة في حديثه عن الرحلة فيجعل من بغداد مُستقرًا للإمام عليه السلام، وهذا يدلُ على عدم إطّلاعه على قضية استدعاء الإمام عليه السلام من قِبل المأمون بإرسال أحد أعوانه وهو « رجاء بن الضحاك» إلى المدينة وأوصاهُ أن يجعل طريقه على البصرة ثم الأحواز، وأن لا يتخذ طريق الكوفة – قم، خوفًا من لقائه بشيعته، وأن لا تكون هذه الرحلة تظاهرة يلتقي بها الإمام عليه السلام بشيعتهِ، وأن لا يكون مُستقره في مرو وليس في بغداد[1].

ويبدو أن المستشرقَ اعتمد رواية اليعقوبي بحضور الإمام عليه السلام إلى بغدادَ ثم البصرةِ عن طريق النهر[2]، وهي رواية لا يمكن أخذها على محمل الجد؛ لوجود أمرٍ من الخليفة بضرورة الابتعاد عن هذا الطريق كما أسلفنا، فضلًا عن وجود أعداء الإمام عليه السلام في بغداد فلا يمكن الترحيب به هناك. كما أنّ مُستشرقنا قد سمحَ لنفسه أن يُفكّر بدلًا عن الإمام الرضا عليه السلام في قضية الموازنة المزعومة منه بين التبجيل والطموح السياسي، وكيف عَلِمَ أنّ الإمام عليه السلام فكّرَ أم لم يُفكّر؟ علمًا أنّه لايوجد نص يُشير إلى تلك المزاعم الفكرية، لذا كان الأولى بكونسلمان أن يدرس حياة أئمة أهل البيت عليهم السلام بشكل أكثر دقة لكي يخرج بنتيجة توصله إلى إدراك الحقيقة، فهو يُعطي للجانب السياسي أهمية كبيرة في حياة الرضا عليه السلام.

أما كلامه (كونسلمان) حول أسباب قبول الإمام عليه السلام لولاية العهد فقد إبتدأهُ بتحجيم الصراع بين الأمين والمأمون ليتخذَ طابعًا قوميًا فعدّهُ صراع بين العرب والفرس، قائلًا: «لم يكن يتم دفن هارون الرشيد الذي مات في ولاية فارس حتى

---

١. الكليني، الاصول من الكافي، ١: ٤٨٨-٤٨٩ ؛ الصدوق، عيون أخبار الرضا، ٢: ١٦١.

٢. اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢: ٤٤٨.

نشبَ النزاع بين أبنائه وورثته. ومرةً ثانية يُحسّ بالصراع على السلطة بين العرب والفرس. فكان إبنه الأمين من أُمٍ عربية، أما المأمون فكان من أُمٍ فارسية من حريم هارون الرشيد. وكان أن أظهرَ الولاء للأُم: فالأمين كان يُفضّل العرب بينما المأمون الفرس. فالآن تفجّرت المشاعر المُتأججة لحسم النزاع بين الفرس والعرب، وكان أن اعتقد الإمام الثامن أنّ الفرصة قد وآتته. فبصراع مُهلك بين العرب والفرس تستطيع شيعة علي - بشيء من التوفيق - جني ثمار هذا الصراع»[١].

والظاهر من النّص الآنف الذكر أنَّ المستشرق كونسلمان لم يهتدِ إلى الأسباب الرئيسة المؤدية لصراع الأبناء الذي هو من صنيعة الأب العباسي، فلولا تقسيم هارون البلاد الإسلامية بين أبنائه الثلاثة، وحصره في أحد أبنائه لما كان هذا الصراع المُحتدم الذي سمح بتدخل الوزراء والقادة لينحدر إلى صراع قومي بين من يُمثل العرب ومن يُمثل الفرس. أما استغلال الإمام عليه السلام لهذا الصراع فلا يبدو منطقيًا؛ لأنَّ الرضا عليه السلام رفضَ عرضَ المأمون في ولاية العهد ولم يقبل بها إلاّ تحت التهديد بالقتل، كما أنّ سلامة الأمة الإسلامية كانت من أولى أولويات الإمام عليه السلام والدليل أنّه أخبر المأمون بما يجري في بغداد بعد أن أخفاها عنه وزيره الفضل بن سهل[٢].

وتناول الألماني هاينس هالم قضية ورود الإمام الرضا عليه السلام إلى الشرق سنة ٨١٦م بأمر المأمون، وفيه يبدو أنَّ المستشرق تنبّه إلى التحول المُفاجيء في تعامل بني العباس مع أئمة أهل البيت عليهم السلام فطالما كان تعاملهم بمنتهى الغلظة والقسوة

١. كونسلمان، سطوع نجم الشيعة، ٨٧.

٢. الخاقاني، «موقف المستشرقين الألمان من أئمة أهل البيت عليهم السلام حتى نهاية القرن العشرين، راسة نقدية»، ٢٤٠- ٢٤٧.

التي تؤدي بهم في نهاية المطاف إلى القتل، وما بدرَ من المأمون لم يكن مألوفًا لدى أهل البيت عليهم السلام، وجميع المسلمين، إلاَّ أنّه – هالم – في نهاية كلامه يعزو الأمر إلى السياسة التي تتحكم بمصير الناس على أيدي حُكّام بني العباس، عندما يقول: «ولذلك تعيّنَ على الإمام السفر إلى هناك، ولكن كان ينتظره هناك تحوّل مُفاجىء في التعامل، إذ إنّ الخليفة زوّجَ الإمام البالغ نحو خمسين عامًا بإحدى بناته، لا بل إنّه لم يكتفِ بجعله صهرًا له بل أعلنه أيضًا وليًّا للعهد. حول هذه الخطوة غير العادية التي اتخذها الخليفة المأمون طرح كثير من التساؤلات ودار كثير من النقاش. لا شكَ في أنّها تجد تفسيرها في الظروف السياسية السائدة آنذاك»[١].

لقد أجمعت أغلب الدراسات الاستشراقية إلى أن أئمة أهل البيت عليهم السلام كانوا بعيدين كل البُعد عن السلطة السياسية، ولم يُفكروا في يوم من الأيام السعي لها، وهو ما أكدّهُ الدكتور هولستير من أنّ أئمة الشيعة الاثني عشرية ظلوا في منأى عن النشاط السياسي في الامبراطورية الإسلامية مدة تناهز مئة وأربعين عامًا، ومع أن الإمام الرضا كان يُصرّ على عدم رغبته في التورّط بهذا الميدان[٢].

ويستظهر برنارد لويس عزوف الإمام الرضا عليه السلام عن الوضع السياسي الجديد الذي تورّطَ فيه[٣]، فليست المطامع الرضوية كانت سببًا في تسميته وليًّا للعهد كما يذهب لذلك الفرنسي ريشار، بقوله: «والحقيقة، هي أنّه لم يُسَمّ بالإعتماد على المطامع الشيعية، ولكن على أساس بعض المعايير السياسية»[٤].

---

١. هالم، الشيعة، ٤٤.

2. Hollister, *The Shi`A of India*, 80-84.

3. Lewis, *The Encyclopaedia of Islam*, 1: 400.

٤. ريشار، الإسلام الشيعي (عقائد وايديولوجيات)، ٦٦.

إعلان التتويج والبيعة:

يذكر المستشرق دونالدسون عقدَ المأمون لبيعة الإمام الرضا عليه السلام وإعلانه للعهد رسميًا في يوم ٢٧ رمضان سنة ٢٠١ للهجرة على ما نقلهُ اليعقوبي[١]، فقد أقامَ مهرجانًا شعبيًا عامًّا، وهو كما يقول دونالدسون أكثر من مجرد إشغال الإمام للمنصب الرسمي في الحقيقة؛ لأنَّ المأمون دعى بني العباس رجالًا ونساءً ليجتمعوا به في مرو، فكان إجتماعًا كبيرًا حافلًا حضرَ فيه ثلاثةً وثلاثين ألف شخص من البالغين والأطفال. وبعد أن إكتمل عقد الحضارة دعى الخليفة الإمام الرضا وأجلسه في المكان الشرفي ما بين أعظم النبلاء وأشرفهم منزلةً، ثم أعلنَ للذين حضروا بأنه تأمّل بعناية في أحوال بني العباس، وبني علي، جميعهم فلم يجد بينهم رجالًا أكثر لياقةً وأشدُ إستحقاقًا ليُخلفهُ في الخلافة من علي الرضا، ولذلك أخذهُ بيده وأعلنهُ خلفًا له على ملأ من الحاضرين[٢].

وهي دعوى أكدَّ عليها الإنكليزي جون جلوب جاءت على لسان المأمون لهذا المنصب المهم من خلال اختياره الرجل المناسب من أي فرد آخر من بني العباس وأبناء علي بن أبي طالب[٣]. ويرى المستشرق موير أنَّ هذا التعيين على الرغم من أن الوريث أكبر من الخليفة بـ(٢٢) سنة، إلاَّ أن هذا يؤشر إلى إنطلاقه جديدة في العلاقات والتحالفات بين فئتين هما: بني العباس من جهة، وبني علي من جهة أخرى، وهو الحلم الذي كان مُعطلًا منذ زمن[٤]. ولَحِقَ هذا التحالف تحالفات

---

١. اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢: ٤٤٨. وفيه ذكر يوم ٧ رمضان وليس كما ذكر دونالدسون يوم ٢٧ رمضان.

٢. دونالدسون، عقيدة الشيعة، ١٧٤-١٧٥.

٣. جلوب، امبراطورية العرب، ٤٤٢.

4. Muir, *The Caliphate its rise decline and fall*, 495.

زوجية مُبكرة سعى إليها المأمون من خلال عرضه على الإمام الرضا عليه السلام أن يتزوّج إبنته الأميرة أُم حبيب[١].

وعلاوةً على ذلك رافقَ التعيين قرارات هامّة أصدرها المأمون، منها: ضرب اسمه – الرضا – على العملة الوطنية للبلاد، وتغيير اللباس الوطني من خلال رفع الرايات الخضراء في جميع أرجاء الدولة بدلًا من السواد الذي هو شعار العباسيين[٢]، ويُعرب برنارد لويس عن عدم معرفته على وجه الدقة أهمية تغيير اللون، وليس من المحتمل أن اللون الأخضر كان في هذا التاريخ المُبكّر شعارًا خاصًا لبيت علي[٣].

ويصف جلوب ردود الفعل من هذه القرارات بأنها انتشرت كالقنبلة في شوارع بغداد التي كانت تسودها الفوضى، فلبسَ البعض الزي الأخضر والآخرون رفضوا طواعيةً التخلّي عن اللباس الأسود. واستنتجَ – جلوب –، أنَّ المأمون كان يطمح إلى مصالحة بني علي بن أبي طالب، ولكنه بعد حين أدرك عمق مشاعر الكراهية لهم عند بني العباس فقرر أن يتخلّى بحُكمه عن موضوع تغيير الألوان[٤].

أما وثيقة النص الأصلية والرسمية لهذا التقليد السلطاني للإمام الرضا عليه السلام والتي وقّعَ عليها الإمام والمأمون، وشهدَ عليها كُبّار رجال الدولة، فقد كشفَ برنارد عن وجودها عند القلقشندي في صبح الاعشى[٥]، وابن الجوزي في مرآة الزمان[٦]: مخطوط باريس رقم ٥٩٠٣.

---

1. Abbott, *Two Queens of Baghad - Mother and Wife of Harun AL-Rashid*, 224.

2. Muir, *The Caliphate its rise decline and fall*, 495.

3. Lewis, *The Encyclopaedia of Islam*. 400.

٤. جلوب، امبراطورية العرب، ٤٤٢-٤٤٣.

٥. القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ٩: ٣٨٠-٣٨٣.

٦. ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، ١٣: ٣٦٨-٣٦٩.

ويُقرر لنا لويس ماسينيون[١] آثار هذا التنصيب على العلويين المُعتقلين الذين تعرضوا لأبشع أنواع العذاب على طول الخلافة العباسية بحصولهم على نوع من الحرية من خلال الإفراج عنهم من جهة، وشعور رجال الدولة العباسيين بعذاب الضمير نحوهم، بقوله:

«وأصبح الإمام الشيعي بذلك الزعيم الوارث لسلطة ممثلة البلاط، وفي المرتبة التالية بعد أقرباء الخليفة العباسي، وفي الصف ذاته مع قاضي القضاة، مُتقدمًا على نقيب الهاشميين...، وكان هؤلاء العلويون، المُعتقلون طوال حياتهم عند السلطان الملكي، يبعثون ميلًا خفيًّا نحوهم في كثير من القلوب، ويتعرّضون لكل ما يمكن أن يفرزه الكره العدواني أو الصداقة الخرقاء من إزهاق أرواحهم إلى التفريج عنهم، لقد شكّل اضطهاد نسل الرسول هذا شهداء الشرعية الذين ضحى بهم المسلمون أنفسهم بهذا الأسلوب الظالم، عذاب ضمير متعاطف معهم عند كثير من رجال الدولة، وعد كثير من الخلفاء العباسيين أنفسهم لدى استذكارهم لعذاب العباسي الأول وهو تأنيب ضمير اعترفوا به في بعض الأحيان»[٢].

اغتيال السلطان الرضا عليه السلام:

اختلفَ المستشرقون في السبب الرئيس الذي أدّى إلى موت الإمام الرضا عليه السلام، لكنهم في الوقت نفسه ذكروا أن سياسة المأمون مع الإمام عليه السلام قد تغيّرت بعد سنتين من ولايته؛ بسبب ما شاهدهُ من مكانته العظمى في نفوس المسلمين

١. مستشرق (Louis Massignon) بلجيكي، ولد سنة ١٨٨٣م، عُني بالآثار القديمة وأدت مشاركته في التنقيب عنها بالعراق (١٩٠٧ - ١٩٠٨م) إلى اكتشاف (قصر الأخيضر)، استهواه التصوّف الإسلامي فكتب عن مصطلحات الصوفية وأخبار الحلاج، ونشر ديوان الحلاج وكتب عن ابن سبعين الصوفي الأندلسي وعن سلمان الفارسي، توفي سنة ١٩٦٢م، ينظر: بدر، ماسينيون في بغداد، ٣١-٩٩.

٢. ماسينيون، آلام الحلاج: شهيد التصوف الإسلامي، ٢٧٨.

والتفافهم حوله، لما رأوا من أخلاقه وتقواه وسعة علومه، وإحاطته بما تحتاج إليه الأُمة في جميع شؤونها أدت بالتالي إلى إستياء الخليفة، والتفكير بكيفية التخلّص منه كما صرّح كونسلمان، بقوله:

«وقد إستاءَ الخليفة بوجه خاص من قواد القوات ذات الأغلبية الفارسية وهم يُقابلون الإمام بخضوع، ومن رجال البلاط الهامّين وهم يُحاولون ترك انطباع حَسَن لدى الإمام وإظهار طاعتهم له في المقام الأول، فمن الواضح أنّ القواد والموظفين كانوا ينظرون بترحيب إلى الإمام الثامن على أنه صاحب نفوذ من الدولة الإسلامية. والآن تحرّكَ طموح الخليفة؛ لأنّ المأمون لم يشأ أن يدفع به إلى مقام الرجل الثاني في الدولة. وكان أوحى إليه الغضب أخيرًا بفكرة استخدام الأداة التقليدية التي استُعملت منذ أجيال للتخلّص من الإمام الذي صارَ غير مرغوب فيه، فتمَّ قتلُ الإمام بالسم كما حدث لسابقيه»[١]. كما تعجّب براون، وغيره[٢]، من سياسة المأمون التي تغيّرت فجأةً تجاه الإمام الرضا عليه السلام والتي أدت بالتالي إلى سَمّهِ، بقوله: «عَدَلَ المأمون عن رأيه بطريقة عجيبة، فلِكي يتخلّص من هذه المشكلة عَمَدَ إلى دسِّ السمِّ سرًا للإمام»[٣].

ويُشير هولستير أنَّ توترًا كان قد حصلَ بين الخليفة والإمام الرضا، وصار يزداد شيئًا فشيئًا حتى بات الإمام يعتقد بدنو أجله، وقد حصلَ ذلك بالفعل[٤]. ويذهب برنارد إلى أنّ المأمون بعد أن أدرك حقيقة الوضع أخذ يُبدّل شيئًا فشيئًا في سياسته نحو الإمام عليه السلام[٥].

---

١. كونسلمان، سطوع نجم الشيعة، ٩٢-٩٣.

2. Moosa, *Extremist Shiites*, 92.

٣. براون، تاريخ الأدب في ايران، ج١، ب ٣-٤، ص١٠٨.

4. Hollister, *The Shi`A of India*, 80-84.

5. Muir, *The Encyclopaedia of Islam*.l: 400

وذكر بعض المستشرقين أنّ المأمون عَزَمَ بعد سنتين من إعطاء ولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام يُفكّر في الرجوع إلى بغداد عاصمة آبائه، وزينة الشرق، بعد أن قامَ أبناء عمومته العباسيين بانتفاضةٍ ضده وخلعه من الخلافة وتنصيب إبراهيم بن المهدي بسبب توليّه علويًا ولاية العهد، لذا قرر التوّجه نحو بغداد سنة ٢٠٣هـ - ٨١٨م وفي صُحبته كل من الفضل بن سهل الذين نقمَ عليه العباسيون، مُعتقدين أنّه هو الذي حبّذَ للمأمون عقد ولاية العهد للرضا عليه السلام، وإلى جانبه صحِبَ الإمام الرضا عليه السلام، فاغتيل الأول في منطقة «سرخس» بأمر من سيده كما يُرجّح ذلك البريطاني بيرسي سايكس[١،٢] وفي خلال يوم أو يومين وصل الجيش إلى منطقة طوس، فانتقل الإمام الرضا عليه السلام إلى الرفيق الأعلى في قرية تسمى «نوقان»، فيروي لنا دونالدسون وجهة نظر المؤرخين المسلمين بذكره: أن عليًّا بن هشام كان قد قدّم له رمانة مسمومة[٣]. لكن المسعودي يقول: إنَّ وفاته كانت بسبب عنبٍ أكثرَ من أكله، على أنّ البعض يقول: إنّ هذا العنب كان مسمومًا[٤]. وهذه الحقيقة التي أكدّها سايكس، بقوله: «إشاعة قُبلت من قِبل الشيعة تتمثل بأنَّ العنب سُمّمَ ولا يمكن إنكارها؛ لانَّ اختفاء الوريث الظاهر كانت المناسبة الأكثر حِدّه»[٥].

---

١. السير بيرسي مولسورث سايكس (Percy Sykes) ولد سنة ١٨٦٧م، كان جنديًا ودبلوماسيًا وباحثًا إنجليزيًا ذو نتاج أدبي كبير، وتلقى تعليمه في أكاديمية ساندهيرست العسكرية الملكية، قام بجملة من الرحلات عبر بلوشستان و بلاد فارس، توفي سنة١٩٤٥م، من مصنفاته: تاريخ أفغانستان، وعشرة آلاف ميل في بلاد فارس، العقيقي، المستشرقون، ٢:٥٢٥.

2. Sykes, *A History of Persia*, ll: 6.

٣. اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢: ٤٥٢.

٤. المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ٣: ٤٤١.

5. Sykes, *A History of Persia*, ll: 6

ويعزي لنا بروكلمان وبحسب رواية الطبري[١] سبب وفاة الإمام عليه السلام إلى تناوله عنبًا فأكثرَ منه فماتَ فجأةً[٢]، وهذه فرية كبيرة، فطالما كان أئمة أهل البيت عليهم السلام يُدرّسون أتباعهم آداب تناول الطعام وعدم الإكثار منه، فلا يمكن للإمام عليه السلام أن يكون شرهًا في تناول الطعام؛ لأنّه يُحب تناوله، لكنه - بروكلمان - تداركَ الأمر فأحالَ الوفاة إلى السم، وجعلهُ الأرجح، بقوله:

«...، وفي طوس أيضًا توفي صهره من جرّاء إضطراب هضمي في ما ظهر، ولكن الراجح أن يكون قد دسَّ له السم فمات»[٣].

ولم يعطِ الالماني هالم رأيه عن سبب الوفاة عندما قال: «فعندما توّجه الخليفة نحو الغرب لكي يخضع الأمراء الذين ثاروا في بغداد بسبب حرمانهم من ولاية العهد توفي الإمام الرضا سنة ٨١٨ م - ٢٠٣هـ في مدينة طوس شرق ايران»[٤].

المشهد الرضوي في ذاكرة المستشرقين:

دُفنَ الإمام الرضا عليه السلام في بستان يقع في قرية «سناباد» بالقرب من قبر هارون العباسي بعد أن شُيّعَ جُثمانهُ تشييعًا حافلًا لم تُشاهد مثله خراسان في جميع أدوار تاريخها يتقدّمهم المأمون وخلفه الوزراء وكُبّار الدولة، وقادة الجيش. وأصبحَ مرقده الشريف من أعزّ المراقد في الإسلام، فقد حظيَ بهالة من الإكبار والتقديس مالم يحظ به مرقد من مراقد الله تعالى، فقد تهافتت على زيارته ملايين المسلمين، وغيرهم من الرّحالة والمستشرقين الذين رسموا بأقلامهم آيات التعجب من

---

١. الطبري، تاريخ الطبري، ٧: ١٥٠.

٢. بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ١٩٩.

٣. م.ن.

٤. هالم، الشيعة، ٤٤.

ارتفاع شأن هذه المدينة، وصارت مزارًا يحجّ إليها الناس، فقد جاء في دائرة المعارف الإسلامية أنَّ المراجع العربية المُدونة في القرون الوسطى تُشير إلى أن زيارة الإمام الرضا عليه السلام والطواف حول ضريحه المُطّهر، قد بدأت في وقتٍ مُبكر، وصار بعض الملوك والأمراء يزورون هذا المشهد بين حينٍ وآخر منذُ الخامس الهجري الحادي عشر فصاعدًا[1].

ويُقدّم الدكتور دونالدسون من جهةٍ أُخرى صورًا خاصة عن حُب الناس للإمام الرضا عليه السلام، وتعلّقهم الشديد به، فهو يذكر: أن التقلبات التي مرّت على مدينة مشهد ومَن دُفنَ فيه قد أسهمت لدرجة كبيرة في غرس الحب الذي يكنهُ الناس بصورة عامة للإمام عليه السلام، وليس من الغريب في هذه المدينة المقدسة البعيدة عن التدخل السني، بعد أن مرّت سنين عديدة تأصلت فيها التقاليد ونمت نموًا مطردًا: أن يُنسب إليه عدد غير يسير من المآثر المُدهشة. وهنا يورد عددًا من الكرامات المنسوبة للإمام الرضا عليه السلام[2].

ويؤكد المستشرقون[3] أنَّ لدفن الإمام عليه السلام بهذه المدينة قد رفعَ شأنها، فإنَّ مدينة جديدة لم تلبث أن نشأت حول مزاره، باسم «المشهد الرضوي» أو «المشهد»، لتحل محله بعدُ محل طوس القديمة بكاملها.

وهي تُعد اليوم أعظم الأماكن الشيعية المقدسة بعد كربلاء، وأصبح الضريح

---

1. Lewis, *The Encyclopaedia of Islam*,1: 713.

٢. دونالدسون، عقيدة الشيعة، ١٨٥-١٨٦.

٣. بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ١٩٩. أيضًا:

Sykes, *The Glory of the Shia World, the Tale of a Pilgrimage ransiated*, 56-243; Strothmann, *Die Zwolferschi`a*, 171; Hollister, *The Shi`A of India*, 80-84.

بعد ذلك محجًّا رئيسيًا للزوار الشيعة، وهي كما يذهب إليها فولتز[١] إشارة إلى حقيقة أنّ الإمام الرضا مثل كل الأئمة الاثني عشر، مات لأسباب غير طبيعية[٢].

ويظهر أن المستشرق الالماني كونسلمان قد جانبَ الصواب عندما نَسَبَ زيارة الشيعة لمرقد الإمام الرضا عليه السلام في مشهد أهم من الحج إلى الكعبة في مكة[٣]، في حين أنَّ علماء الشيعة وعوامهم لم يقرّوا بهذا الأمر علنًا لا في كُتبهم ولا في جلساتهم.

نعم إنّ الذي لا يستطيع الذهاب إلى حج بيت الله الحرام بسبب قلة ذات اليد، فإنّه يتوّجه إلى هذه المراقد الشريفة ومنها مرقد الإمام الرضا عليه السلام، بإعتبار أنها بيت من بيوت الله تعالى، وفيها استجابة الدعاء.

وقد وصَفَ عدد من الرّحالة الغربيين ومنهم لسترنج[٤] مدينة مشهد، من خلال ما يلتقي بها من جوانبها من مدن وسلاسل جبلية وأنهار وسهل، وهي بذلك أصبحت في السنوات الأخيرة مدينة مستقلة عن الحرم الشريف وما يُحيط به من أماكن مقدسة، بعد أن كانت المدينة هي المشهد المقدس ذاته[٥].

ويذكر الأستاذ ستريك، إن مدينة مشهد غنية جدًا بمساجدها المشيدة في البقعة المقدسة، والمقابر، والمدافن الخاصة، وترتبط هذه في الغالب بالمدارس الدينية

---

١. ريتشارد سي فولتز (Richard Foltz) مستشرق كندي، ولد سنة ١٩٦١م، متخصص في تاريخ الأديان، أستاذ بجامعة كونكورديا، حصل على شهادة الدكتوراه في تاريخ الشرق الأوسط من جامعة هارفارد، له: الصيرورة العالمية للإسلام، وكيف أثرت ايران في أديان العالم.

٢. فولتز، الروحانية في ارض النبلاء، ١٥٠.

٣. كونسلمان، سطوع نجم الشيعة، ٩٣.

٤. ولد كي لسترنج (Guy le Strange) في انكلترا سنة ١٨٥٤م، له مصنفات منها: فلسطين في عهد الإسلام، وبغداد في عهد الخلافة العباسية، وغيرها، ينظر: لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ٦-٨.

٥. م.ن.، ٤٢٩-٤٣٣.

وسائر الأبنية ذات الصبغة الدينية الخاصة[١].

وكتبَ بعضهم مذكراته عن الحرم المقدس وما ألمَّ به من حوادث أثناء الزلازل التي لحقت بالمدينة، ومنهم السير جون جادرين[٢]، إذ يصفُ حوادث سنة ١٦٧٣م وما لحقَ من تخريب لحضرة المشهد، من تصدعات القبة الشريفة وغيرها، ثم توجيه الشاه بعد ذلك القيام على الترميم من جديد[٣].

وختامًا استشراقيًا عن هذا الإمام الهُمام ينهي دونالدسون ذكراهُ التي بقيت مُتعلقة في قلوب الناس، من خلال زيارة قبره الذي دُفنَ فيه غريبًا بعيدًا عن موطنه الأصلي، بقوله: «... وهكذا توفي الإمام علي الرضا فدُفن غريبًا بعيدًا عن المدينة، موطن آبائه آل بيت النبي»[٤].

الخاتمة:

الحمد لله الذي وفقني لإتمام هذا السفر الخالد مع الإمام الهمام علي بن موسى الرضا عليه السلام ورحلتي التي أبحرتُ بها هذه المرّة مع المستشرقين لمعرفة ما رسمتهُ أناملهم عن هذا الرجل العظيم من سُلالة آل محمّد صلى الله عليه وآله.

فهي دراسةٌ جديدة تختلف عمّا صدر عنه عليه السلام في خزانة المكتبة الإسلامية على العموم والشيعة على الخصوص؛ إذ حاولتُ فيها أن أُقدّم للقارىء الكريم بعض معالم تلك الرسوم التي ظهرت من خلال سرد آراء مواقف الغرب الصريحة، والوقوف على طائفة من الأبعاد الإنسانية والمخزون الاستقرائي لتراثهم البعيد

---

1. *The Encyclopaedia of Islam*, 1: 713.

٢. جون جارن، أو جان شاردان (Sir John Chardin) مستشرق فرنسي، ولد سنة ١٦٤٣م، من مصنفاته: وصف تتويج سليمان الثالث، ويوميات رحلة الفارس، ينظر: بدوي، موسوعة المستشرقين، ٣٦٩-٣٧١.

3. Chadrin`s, *Travels in Persia*, 62.

٤. دونالدسون، عقيدة الشيعة، ١٧٧.

عن الأنظار، بعد أن عكفتُ على مراجعة جملة من المراجع والمصادر الأجنبية التي عرضتُ بعضها للترجمة، وتدوين بعض أقوالهم عن شخصية الإمام علي الرضا عليه السلام.

وممّا تقدّم من معلوماتٍ واردة في هذه الدراسة، وما توّصل إليه البحث من استنتاجات يمكن إدراجها في النقاط الآتية:

أولًا: إنَّ الإستشراق في مفهومه يُعدّ من المفاهيم الدخيلة على اللغة العربية، وإنَّ صُنّاعه هم علماء الغرب كما هو واضحٌ في القواميس الغربية التي تُشير إلى تعاريفه الصريحة، إلاّ أنّه يُمكن للتجذير العلمي اللغوي العربي أن يُحيل إلى الفهم الجغرافي لجهة الشرق.

ثانيًا: من التوّجهات المُهمّة في الدراسات الإستشراقية هو الكتابة عن سيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام، ودورهم في الحياة الإجتماعية والسياسية والعقدية، وهذا ما لوحِظَ جليًّا منذ مطلع القرن التاسع عشر الميلادي، إلاّ أنّه أصبح واضحًا ومهمًا في بدايات القرن العشرين، إذ تميّزت بتتبعها لمصادر أهل البيت عليهم السلام من الإمامية وغيرها، دون التقييد بما وردَ من مصادر أبناء الجمهور فقط. واحتلَّ العقد الثاني من القرن العشرين، وبدايات القرن الحالي المعاصر أهميةً كبرى في حياة المجتمعات الغربية في التعرّف على حقيقة الإسلام الشيعي عمومًا، والإماميّ خصوصًا المرتبط بأهل البيت؛ لما حوته المنطقة من تطوّرات سياسية أدى بذلك إلى زيادة عدد الصادر من المؤلفات والبحوث الإستشراقية، لمعرفة ماهية هذا البيت الإسلامي المُحمّدي.

ثالثًا: تتبّعنا دوائر المعارف الاستشراقية فوجدنا أنها لم تَخلُ من ذكر للإمام علي الرضا عليه السلام ضمن مفردات ومواد تلك الموضوعات التي احتوت في طيّاتها؛

لعِلمِ أصحابها بأهمية هذه الشخصية في التاريخ الإسلامي، فكانت أمامنا دائرة المعارف الإسلامية الذائعة الصيت، ودائرة المعارف البريطانية، فآثرنا أن نستقي من كلماتهم عن الإمام عليه السلام ونجعلها بين يدي القارىء الكريم بعد ترجمتها إلى اللغة العربية.

رابعًا: إنَّ الإمامَ أبا الحسن علي الرضا عليه السلام الشخصية الإسلامية البارزة ومن التابعين أصحاب الطبقة الثامنة، وهو الإمام الثامن من أئمة العترة الطاهرة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا.

والإمام عليه السلام حفيد رسول الإنسانية، نشأ في بيت والده الإمام موسى بن جعفر عليه السلام شهيد السجون، فتأثر بأبيه أدبًا وخلقًا وعلمًا، ولُقّبَ بألقاب عديدة كان أبرزها «الرضا»؛ الذي ما أنفكَ المستشرقون يُردّدونه كلما ذكروه في دراساتهم عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، ولم يُلقّبوا به أحدٌ سواه من الشخصيات الإسلامية.

خامسًا: أشادَ المستشرقون بالدور العلمي الذي قامَ به الإمام علي الرضا عليه السلام، إذ تصدّرَ مجالس المأمون العباسي للمناظرة والاحتجاج مع كُبّار الفلاسفة وعلماء الأديان، فقد تفرّغ صلوات الله عليه لبسط العلم واشاعته بين المسلمين في وقت كان الثراء الفكري قد ضرب نطاقه على جميع أنحاء العالم الإسلامي.

سادسًا: ساهمَ الإمام علي الرضا عليه السلام في إثراء المكتبة الإسلامية عامةً والشيعة خاصة؛ لذلك سلّطَ المستشرقون الضوءَ في كتاباتهم على النتاجات الرضوية لهذه الثمرة من ثمرات الفكر الإسلامية؛ لأنّه الإمتداد الطبيعي لجدّه الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الذي استسقاهُ من الرسول الأعظم، وأدركَوا أنَّ حياة هذا الرجل كانت حافلة بأعمال جليلة ومآثر عظيمة، ولعلّ من أجمل ثروات الإمام عليه السلام العلمية، هي الرسالة الذهبية في الطب.

سابعًا: عكفت بعض بحوث المنظومة الاستشراقية على دراسة وتحليل أغلب الشخصيات المهمة في صدر الإسلام، والتي أدت دورًا مهمًا في تاريخ المسلمين، ومن خلال الدراسات الإسلامية لهذه المنظومة يُلاحظ المتتبع لها أنها لا تنظر إلى تلك الشخوص المرموقة نظرة المؤمن لها، إذ الغاية عنده استقصاء الحقائق بموضوعية علمية. فكانت الإمامة واحدة من تلكم الدراسات التي اهتمَّ بها المستشرقين لما لها من تحولات خطيرة على المشهد الإسلامي وجوهرها وعمقها في امتداد الرسالة النبوية، فكان الجدل واضحًا في إمامة الرضا عليه السلام عند الفرق الإسلامية في عصره، فلم تخلُ خرائط المستشرقين من تضمين علي بن موسى ضمن أسماء الأئمة الاثنى عشر من آل محمّد صلى الله عليه وآله.

ثامنًا: أكدَّ المستشرقون على ما وردَ عن المؤرخين من أنّ الإمام الرضا عليه السلام لم يُعرف عنه انه لعِبَ دورًا سياسيًا بارزًا في معظم أيام حياته، وابتعاده عن التيارات السياسية ابتعادًا مطلقًا، فلم يشترك بأي عمل سياسي يتصادم مع الحكم القائم آنذاك، واعتبر – المستشرقون – إرغامه من السلطة العباسية الحاكمة والمتمثلة بالمأمون العباسي الظهور على مسرح الأحداث السياسية، واختياره وريثًا سياسيًا دون غيره من العلويين والعباسيين، فكان هذا الظهور توريطًا سياسيًا للحصول على المآرب الخاصة.

تاسعًا: على الرغم من تصريح بعض المستشرقين بأن الإمام الرضا عليه السلام ماتَ مسمومًا، إلاّ ان بعضهم موّه هذه الحقيقة فصار ينقل ما لا يليق وبصوره كيفية وفاته أو شهادته بأسلوبٍ مختلف، ومنها إفراطه في أكل العنب.

عاشرًا: اتجهت أنظار الرّحالة الغرب نحو مرقده الشريف، فبدأت رحلات المستشرقين تجوب صوب القبر الموسد في كنفه الإمام المعصوم المظلوم، فدوّنوا معلوماتهم عن كل شاردة وواردة لهذا الصرح.

المصادر

١. ابن الاثير، أبي السعادات المبارك بن محمّد الجزري(ت٦٠٦هـ / ١٢٠٩م)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر الزاوي، محمود الطناحي، ط٤، قم، مؤسسة اسماعيليان، ١٣٦٤ش.

٢. ابن الجوزي، شمس الدين يوسف بن قز أوغلي(ت٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م)، تذكرة خواص الأمة بذكر خصائص الأئمة، تحقيق: علق عليه ووضع حواشيه: حسين تقي زادة، قم، مركز الطباعة والنشر للمجمع العلمي لأهل البيت عليهم السلام، ١٤٢٦هـ.

٣. ـــــــــــ، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق: عمار ريحاوي ورضوان مامو، بيروت، دار الرسالة العالمية، ٢٠١٣هـ.

٤. ابن خلكان، أحمد بن محمّد (٦٢١هـ/ ١٢٢٤م) وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: محمّد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، دار السعادة، ١٩٤٨م.

٥. ابن زكريا، أحمد بن فارس(ت٣٩٥هـ / ١٠٠٤هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمّد هارون، قم، مكتب الاعلام الإسلامي، ١٤٠٤هـ/ـ١٩٨٠م.

٦. ابن منظور، محمّد بن مكرم(ت٧١١هـ/ ١٣١٢م)، لسان العرب، قم، د. مط، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م.

٧. آربري، آرثر(ت١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م)، المستشرقون البريطانيون، الترجمة: محمّد الدسوقي النويهي، لندن، وليم كونينز، ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م.

٨. الأمين، محسن عبد الكريم العاملي(ت١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م)، أعيان الشيعة، تحقيق: حسن الأمين، بيروت، دار التعارف، د.ت.

٩. البخاري، أبي نصر سهل بن عبد الله بن داود (ت٣٤١هـ/ ٩٥٣م)، سر السلسلة العلوية، تقديم: محمّد صادق بحر العلوم، النجف الأشرف، الحيدرية، ١٣٨٢هـ.

١٠. بدر، علي، ماسينيون في بغداد، ألمانيا، منشورات الجمل، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.

١١. بدوي، عبد الرحمن (ت١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م)، موسوعة المستشرقين، الدار العلمية للفلسفة، د. ت.
١٢. براون، ادوارد(ت١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م)، تاريخ الأدب في ايران، الترجمة: أحمد كمال الدين حلمي، القاهرة، الاميرية، ٢٠٠٥م.
١٣. بروكلمان، كارل (ت١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م)، تاريخ الأدب العربي، الترجمة: عبد الحليم النجار، مصر، دار المعارف.
١٤. ــــــــــــ، تاريخ الشعوب الإسلامية، الترجمة: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، ط٦، بيروت، دار العلم للملايين، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٤م.
١٥. بريل، ا. جى.، موجز دائرة المعارف الإسلامية، الشارقة، ١٤٣٦هـ.
١٦. البغدادي، ابن الخشاب عبد الله بن النصر(ت٥٦٧هـ/ ١١٧٢م)، تاريخ مواليد الأئمة ووفياتهم، قم، الصدر، ١٤٠٦هـ.
١٧. تيرنر، كولن، التشيع والتحول في العصر الصفوي، الترجمة: حسين علي عبد الساتر، المانيا، بغداد، منشورات الجمل، ٢٠٠٨م.
١٨. الجامي الحنفي، نور الدين عبد الرحمن (٨٩٨هـ/ ١٤٩٢م)، شواهد النبوة، المصحّح: حسن الأمين، طهران، دفتر نشر طيّب، ١٣٧٩هـ.ش.
١٩. جلوب، جون. (ت١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م)، امبراطورية العرب، الترجمة: عادل حامد محمّد، القاهرة، الاميرية، ٢٠١٤م.
٢٠. جماعة من المستشرقين، دائرة المعارف الإسلامية، الترجمة: احمد الشنيناوي وابراهيم خورشيد وعبد الحميد يونس وحافظ جلال، طهران، بوذر جمهرى، ١٩٣٣م.
٢١. الجويني، ابراهيم بن محمّد (٧٢٢هـ/ ١٣٢٢هـ)، فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين والأئمة من ذريتهم، بيروت، مؤسسة المحمودي، ١٤٠٠هـ.
٢٢. الحر العاملي، محمّد بن الحسن (ت١١٠٤هـ/ ١٦٩٢م)، اثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، تصحيح: هاشم الرسولي المحلاتي، الاولى، قم، العلمية، ١٣٧٩هـ.
٢٣. حمدان، عبد الحميد، طبقات المستشرقين، مصر، منشورات مكتبة مدبولي.

٢٤. الحموي، ياقوت بن عبد الله البغدادي، (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م)، معجم البلدان، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٧٩م.
٢٥. الخاقاني، حسن، «موقف المستشرقين الألمان من أئمة أهل البيت عليهم السلام حتى نهاية القرن العشرين دراسة نقدية»، اطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، كلية التربية، واسط، جامعة واسط، ٢٠١٧م.
٢٦. دونالدسون، دوايت. م. (ت١٣٩٥هـ/ ١٩٧٦م)، عقيدة الشيعة، الترجمة: ع. م، بيروت، مؤسسة المفيد، ١٩٩٠م.
٢٧. ديتريش، البرت، الدراسات العربية في المانيا تطورها التاريخي ووضعها الحالي، الترجمة: دار النشر فرانز شتاينر، فسيادن،١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م.
٢٨. الذهبي، محمّد بن أحمد بن عثمان، (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، تاريخ الإسلام، تحقيق: د. عمر عبد السلام، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ.
٢٩. الرازي، ابن مسكويه احمد بن محمّد(ت٣٢٠هـ/ ٩٣٢م)، تجارب الامم، تحقيق: ابو القاسم امامي، ط٢، طهران، دار سروش، ١٤٠٧هـ.
٣٠. رضا، أحمد بن ابراهيم (ت١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م)، معجم متن اللغة، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، (١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م.
٣١. ريشار، يان، الإسلام الشيعي :عقائد وايديولوجيات، الترجمة: حافظ الجمالي، بيروت، دار عطية، ١٩٩٦م.
٣٢. سايكس، بيرسي(ت١٣٦٤هـ)، تاريخ بلاد فارس، ط٤، لندن، ٢٠٠٤م.
٣٣. سعيد، إدوارد(ت١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م)، الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، ترجمة: د. محمّد عناني، القاهرة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م.
٣٤. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر(ت٩١١ه/ ١٥٠٥م)، تاريخ الخلفاء، تحقيق: لجنة من الادباء، بيروت، معتوف اخوان، د.ت.
٣٥. الشافعي، كمال الدين محمّد بن طلحة(ت٦٥٢هـ/ ١٢٥٤م)، مطالب السؤول في مناقب آل الرسول، تحقيق: ماجد ابن أحمد العطية، بيروت، مؤسسة البلاغ، د.ت.

٣٦.شتروتمان، رودولف(ت١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م)، الشيعة الاثنا عشرية في زمن المغول، الترجمة: محمود كبيبو، بيروت، دار الوراق، ٢٠١٩م.
٣٧.الصدوق، محمّد بن علي (ابن بابويه) (ت٣٨١هـ/ ٩٩١م)، عيون أخبار الرضا عليه السلام، صححه وعلق عليه: حسين الأعلمي، بيروت، مؤسسة الاعلمي، ١٤٠٤هـ.
٣٨.الطبري، ابن جرير محمّد بن جرير (ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمّد أبو الفضل ابراهيم، مصر، دار المعارف، ١٩٦٢م.
٣٩.ـــــــــــ، تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: مراجعة وتصحيح وضبط: نخبة من العلماء الأجلاء، بيروت، مؤسسة الأعلمي، د. ت.
٤٠.الطبري، دلائل الإمامة، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، قم، مؤسسة البعثة، ١٤١٣هـ.
٤١.العقيقي، نجيب(ت١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م)، المستشرقون، القاهرة، دار المعارف، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.
٤٢.غراب، أحمد عبد الحميد، رؤية إسلامية للإستشراق، الرياض، دار الاصالة، الرياض١٤٠٨هـ.
٤٣.فروخ، عمر(ت١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م) الاستشراق في نطاق العلم وفي نطاق السياسة، جدة، سلسلة عالم المعرفة الرياض، ١٤٠٥هـ.
٤٤.فلهاوزن، يوليوس(ت١٣٣٦هـ/ ١٩١٨م)، تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الاموية، الترجمة: د. محمّد عبد الهادي أبو ريده، القاهرة، ١٩٦٨م.
٤٥.فلوتن، فان(ت١٣٢٠هـ/ ١٩٠٣م)، السيطرة العربية والتشيع والمعتقدات المهدية في ظل خلافة بني أُمية، الترجمة: د. ابراهيم بيضون، مصر، السعادة، ١٩٣٤م.
٤٦.فولتز، ريتشارد، الروحانية في ارض النبلاء، الترجمة: بسام شيخا، بيروت، ١٤٢٨هـ.
٤٧.القلقشندي، أحمد بن علي(ت٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق: محمّد حسين شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت.
٤٨.القمي، أبو القاسم علي بن محمّد الخزاز(ت٤٠٠هـ/ ١٠١٠م)، كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر، تحقيق: عبد اللطيف الحسيني، قم، ١٤١٣هـ.
٤٩.قنواتي، جورج، المسيحيّة والحضارة العربيّة، المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر، القاهرة، ١٩٧٤م.

٥٠. الكليني، أبي جعفر محمّد بن يعقوب، (ت٣٢٩هـ/ ٩٤١م) الاصول من الكافي، تحقيق: علي أكبر الغفاري، ط ٥، طهران، حيدري، ١٣٦٣هـ.
٥١. كوربان، هنري (ت ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م)، تاريخ الفلسفة الإسلامية، الترجمة نصير مروة وحسن قبيسي، بيروت، ١٩٧٧م.
٥٢. كونسلمان، جرهارد، سطوع نجم الشيعة الثورة الإيرانية من ١٩٧٩، الترجمة: محمّد أبو رحمة، القاهرة، ١٤١٢هـ.
٥٣. لسترنج، كي (ت١٣٥١هـ/ ١٩٢٣م)، بلدان الخلافة الشرقية، الترجمة: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، بغداد، الرابطة، ١٩٥٤م.
٥٤. ليندزي، جيمس، العالم الإسلامي في العصور الوسطى، الترجمة: د. ناصر الحجيلان، أبو ظبي، ١٤٣٣هـ.
٥٥. ماسينيون، لويس(ت١٣٨١هـ/ ١٤٤٣م)، آلام الحلاج: شهيد التصوف الإسلامي، الترجمة: الحسين حلاج، بيروت، ٢٠٠٤م.
٥٦. المجلسي، محمّد باقر بن محمّد تقي، (ت١١١١هـ/ ١٧٠٠م) بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، تحقيق: علي أكبر الغفاري، ط ٢، بيروت، الوفاء، ١٩٨٣م.
٥٧. مراد، يحيى، معجم أسماء المستشرقين، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤م.
٥٨. المسعودي، أبي الحسن علي بن الحسين (ت٣٤٦هـ/ ٩٥٧م) مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط ٢، قم، دار الهجرة، ١٤٠٤هـ.
٥٩. المفيد، محمّد بن النعمان العكبري، (ت٤١٣هـ/ ١٠٢٢م) *الإرشاد*، النجف الأشرف، مطبعة الحيدرية، ١٣٩٢ هـ.
٦٠. النوبختي، الحسن بن موسى(ت ق٣هـ) فرق الشيعة، بيروت، منشورات الرضا، ١٤٣٣هـ.
٦١. نيكلسون، رينولد(ت١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م)، تاريخ الأدب العباسي، الترجمة وتحقيق: د. جعفر خلوصي، بغداد، ١٩٦٧م.
٦٢. نيومان، آندرو، الحقبة التأسيسية للتشيع الاثني عشري: خطاب الحديث بين قم وبغداد، بيروت، دار الرافدين، ٢٠١٩.

٦٣. هالم، هاينس، الشيعة، الترجمة: محمود كبيبو، بغداد، بيت الورّاق، ١٤٣٢هـ.
٦٤. ـــــــــــــ، الغنوصية في الإسلام، الترجمة: رائد الباش، منشورات الجيل، ٢٠٠٣م.
٦٥. هويدي، أحمد، الاستشراق الألماني: تاريخه دوافعه وتوقعاته المستقبلية، القاهرة، مطابع دار التعارف، ١٤٢٠هـ.
٦٦. واط، ويليام مونتغمري، (ت١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م)، الفلسفة وعلم الكلام، الترجمة: كاظم سعد الدين، بغداد، ط الفرات، ٢٠١٠م.
٦٧. ـــــــــــــ، حفريات استشراقية: إعادة تقويم التشيع في العصر العباسي، ترجمة وتقديم وتعليق: د. عبد الجبار ناجي، بيروت، د.ن، ١٤٣٦هـ.
٦٨. وزّان، عدنان محمّد، الإستشراق والمستشرقون، د. مط، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
٦٩. اليافعي، عبد الله بن أسعد(ت٧٦٨هـ/ ١٤٦٧م)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، وضع حواشيه: خليل المنصور، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ.
٧٠. اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب (ت٣٨٤هـ/ ٩٩٤م)، تاريخ اليعقوبي، قم، شريعت، منشورات دار الاعتصام، ١٤٢٥هـ.

71. Abbott, Nabia. *Two Queens of Baghdad: Mother and Wife of Harun al-Rashid*. Chicago. University of Chicago Press, 1946.
72. Chadrin, John. *Travels in Persia*. London. Argonout Press, 1927.
73. Gibb, H. A. R. et al. *Encyclopedia of Islam* (Second Edition). Brill. Leiden, 1986-2004.
74. Guillaume, Alfred. *Debate between Christian and Muslim Doctors*. Cambridge University Press. J.R.A.S. Centenary Suppement, 1924.
75. Hollister, John. *The Shi'a of India*. London. Luzac, 1953.
76. Lewis, Bernard. "ALI AL-RIDA". *The Encyclopaedia of Islam*. New York. An imprint of Infobase Publishing, 2009.
77. Meri, Josef W. *Encyclopedia Medieval Islamic Civilization*. New york Londen. Routledge, 2006.
78. Moosa, Matti. *Extremist Shiites*. New York. Syracuse university press, 1988.

79. Muir, William. *The Caliphate its rise, decline, and fall*, Harvard, 1891.
80. Oxford University press. *The Compact Edition of The Oxford English Dictionary*. New York, 1971.
81. Rudolph, Strhmann. *Die Zwolfer Schia*. Leipzig, 1926.
82. Sykes, Percy. *A History of Persia*. London and New York. 2004.
83. ———. *The Glory of the Shia World The Tale of a Pilgrimage*. London, 1910.
84. Veccia Vaglieri, Laura. "Fatima" in *Encyclopedia of Islam* (Second Edition) Volume II. pp. 841-850.
85. Weiner, E. S. C. J. A. Simpson (Eds.) *The Compact Edition of The Oxford English Dictionary*. New York, 1971.